أجاثا كريستى

جريمة فى الصحراء

ترجمة
احمد حسن

الحرية
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب	جريمة فى الصحراء
ترجمة	أحمد حسن
الناشر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ - ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيداع	٢٠٠٧/٥٢٩٨
الترقيم الدولى	977 - 7200- 50 -X

الحرية للنشر والتوزيع
3 ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
0123877921 - 25745679

مشروع جريمة قتل

- ولهذا كله يجب أن تقتل..!

سمع هيركيول بوارو هذه العبارة وهو يضع يديه على مصراعى النافذة ليغلقها.. وتوقف لحظة ثم هز كتفيه، وأغلق النافذة، لأنه نشأ على الاعتقاد بأن هواء الليل، خارج البيوت، يجب أن يبقى خارجها لأنه ليس هناك ما هو أخطر منه على الصحة أثناء النوم.

- ولهذا كله يجب أن تقتل..!

كلمات عجيبة..! وأعجب منها أن تصل إلى أذنيه فى أول ليلة له بمدينة القدس.

وقال لنفسه وهو ينصرف عن النافذة:

- يبدو أننى لابد أن أسمع أو أرى شيئاً يذكرنى بالجريمة والمجرمين اينما ذهبت..

ومرة أخرى هز بوارو رأسه وهو يستعيد فى ذاكرته تلك العبارة التى سمعها عند اغلاق النافذة:

- ولهذا كله يجب أن تقتل..!

ترى أهى عبارة كان يقرأها أحد من رواية بوليسية، أم عبارة عن

حوار فى مسرحية!

وابتسم وقال لنفسه:

- ربما احتاج يوماً إلى تذكر هذه الكلمات عندما تتحول إلى حقائق رهيبة.

وتذكر نبرات صوت الناطق بها.. نبرات شاب ثائر النفس، متوتر الاعصاب، وقال بوارو لنفسه وهو يطفىء المصباح ويأوى إلى فراشه:

- من المؤكد أننى سأتعرف على صاحب هذا الصوت إذا رأيته وسمعته يتكلم مرة أخرى.

* * *

وكان صاحب الصوت هو ريموند بونتون.. شاب فى نحو الخامسة والعشرين، وكان واقفاً إلى نافذة الغرفة المجاورة لغرفة بوارو بفندق الملك سليمان بمدينة القدس، وكانت تقف بجانبه شقيقته كارول، وهى شابة فى نحو الثالثة والعشرين من عمرها، وكانا يتبادلان الحديث فى سكون الليل، وقد عاد ريموند وكرر هذه العبارة:

- ولهذا كله يجب أن تقتل!

وتململت كارول قليلاً، ثم تمتمت بصوت متهدج:

- هذا مخيف.

وقال ريموند بعنف:

- لا يمكن أن يستمر الحال هكذا.. يجب أن نفعل شيئاً، وليس أمامنا شىء آخر يمكن أن نفعله!

- لو كان فى مقدرونا أن نهرب..

- كارول..! أنك تعلمين أننا لا نستطيع.

- نعم يا ريموند.. أننى أعلم.. أعلم هذا..

وأرسل ريموند ضحكة مريرة وقال:

- إن الناس يظنون أننا مجانين لأننا عاجزون عن الهرب من حياتنا هذه.

فقال كارول ببطء:

- لعلنا مجانين حقاً..!

- سوف نكون مجانين فعلاً إذا استمرت حياتنا على هذا النحو مدة أخرى.. ولعل من بوادر جنوننا أننا الآن ندبر جريمة لقتل أمنا.

فهتفت كارول قائلة بحدة:

- لا.. لا.. إنها ليست أمنا.

- صدقت.. أن زوجة الأب لا يمكن أن تكون أماً.. مهما تظاهرت بذلك.

ثم اردف قائلاً بصوت ثابت:

- هل توافقين يا كارول؟

- نعم.. أننى اعتقد أن موتها ضرورة لابد منها.

ثم انفجرت قائلة بصوت ينم عن ثورتها النفسية:

- إنها مجنونة.. إننى واثقة من جنونها.. ولو كانت عاقلة لما تلذذت

بتعذيبنا على هذا النحو، لقد عشنا سنوات وسنوات ونحن نقول إن هذا لا يمكن أن يدوم.. ولكنه دائم.. وقلنا كثيراً إنها سوف تموت يوماً.. ولكنها لم تمت، ولا اعتقد أنها ستموت إلا..

فأكمل لها ريموند العبارة بقوله:

- إلا إذا قتلناها.

- نعم.

وضم ريموند قبضتى يديه وقال:

- ولابد أن يكون قاتلها واحداً منا.. أنت أو أنا.. أننا لا نستطيع أن نعتمد على شقيقنا لينوكس أو زوجته نادين.. كما أننا لا نستطيع الاعتماد على اختنا الصغرى جينى.

فارتعدت كارول وقالت:

- يا للمسكينة جينى.. لشد ما أنا خائفة عليها.

- نعم إن حالتها تزداد سوءاً.. وهذا ما يدعونا إلى الاسراع فى القيام بعمل حاسم.

والتفتت كارول نحوه وقالت فجأة:

- الذى يدهشنى يا ريموند أنك تغيرت فجأة فى يوم وليلة! م الذى جعلك تصر على الخلاص من هذه الشيطانة الآن.

- لا شىء يا كارول.. ولكننى لم اعد احتمل.

- أم لعلها تلك الفتاة الحسناء التى التقيت بها فى القطار.

- لا .. طبعاً لا .. ما شأن تلك الفتاة بنا .. لنعد إلى موضوعنا.

- تعنى إلى خطتك!! هل أنت واثق من احكامها؟

فقال ريموند بصوت كله ثقة:

- نعم.. وسأخبرك بتفاصيلها.

ثم اقترب برأسه من رأسها، وراح يهمس فى أذنها.

* * *

الرجل الفرنسى

وقفت المس سارة كنج - الطبيبة الحديثة التخرج - بجوار مائدة الكتابة فى قاعة المكتبة بفندق الملك سليمان بالقدس.. وكان جبينها مقطباً، والقلق يبدو فى عينيها وهى تقلب صفحات بعض المجلات.

ودخل رجل فرنسى فى منتصف العمر، طويل القامة، وراح يراقبها لحظة قبل أن يمضى إلى الجانب المواجه لها عبر المائدة، فلما التقت عيونهما ابتسمت سارة قليلاً وقد تذكرت أنه نفس الرجل الذى ساعدها فى استدعاء بعض الحمالين عند سفرها من القاهرة.

[illegible] الرجل الفرنسى رداً على ابتسامتها:

- هل [illegible] مدينة القدس؟

- إلى حد ما [illegible]

ثم ابتسمت وقالت:

- تصور أنهم طرودنى من أحد الأماكن المقدسة لأن ذراعى عاريتين! يبدو أن الله فى رأيهم لا يحب الاذرع العارية رغم أنه خالقها!!

فضحك الفرنسى وقال:

- كنت سأطلب بعض القهوة، فهل تسمحين وتشربين معى يا مس.

- سارة كنج.

واخرج من جيبه بطاقة وقال وهو يقدمها:

- وهذا هو اسمى.

ونظرت سارة فى البطاقة، ثم همست قائلة فى ابتهاج ورهبة:

- الدكتور تيودور جيرار! لشد ما أنا سعيدة بمعرفتك يا سيدى لقد قرأت كل مؤلفاتك فى علم النفس، وأن أراءك فى مرض الانفصام لمثيرة جداً.. أنك أشهر طبيب للأمراض العصبية يا دكتور.

- أحقاً!

- نعم.. وأنى لاقدرها بحكم عملى.. لقد تخرجت حديثاً فى كلية الطب.

- آه.. فهمت.

ولكن الدكتور جيرار كان أكثر اهتماماً بجمال سارة منه بشهادتها الطبية، وقد سرته إمارات الرهبة والاعجاب المطلة من عينيها وهى تنظر إليه.

وسألها قائلاً:

- هل ستمكثين معنا طويلاً؟

- بضعة أيام.. ثم أمضى إلى مدينة بطرا.

– أها.. وأنا أيضاً أفكر فى هذه الزيارة إذا لم تستغرق وقتا طويلاً لأنى مضطر للعودة إلى باريس قبل الرابع عشر من هذا الشهر.

– إن الرحلة إليها تستغرق أسبوعاً كما أظن.. يومان فى الذهاب، ويومان فى الاقامة، ثم يومان للإياب.

– يجب أن أذهب إلى مكتب الرحلات غداً وأرى ماذا ينبغى أن أفعل.

وفى تلك اللحظة دخلت جماعة إلى ركن القاعة، فتأملت سارة أفرادها برهة، ثم قالت بصوت خافت:

– أترى هؤلاء الناس.. لقد غادروا القاهرة معى أمس.

فالقى الدكتور جيرار نظرة عليهم ثم قال:

– أمريكيون؟!

– نعم.. أسرة أمريكية.. ولكنها أسرة غريبة الأطوار كما يبدو لى.

– غريبة الأطوار؟.. لماذا؟!

– أنظر إليهم.. ولاسيما السيدة العجوز.

وتأمل الدكتور جيرار وجوه أفراد الأسرة بنظراته الفاحصة، ولاحظ أولاد الرجل الطويل العريض الذى يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، وكان وجهه وسيماً، ولكن قسماته تنم عن ضعف الشخصية والميل إلى الانطواء، ثم نظر إلى الشاب الأصغر، وكان جميلاً كآلهة الاغريق، إلا أنه كان أيضاً «غريب الأطوار متوتر الأعصاب»، أما الفتاة الأصغر منه، فكانت أخته، لشدة الشبه بينها وبينه فى الصمت وفى التوتر العصبى،

ثم الفتاة الصغرى، ذات الشعر الذهبى المحيط برأسها كالهالة، كانت أيضاً تعبر عن حالتها العصبية بلا وعى بتمزيق المنديل الصغير الذى امسكت به، أما السيدة الشابة ذات الشعر الفاحم، والوجه الهادىء، فكانت تشبه فى غموضها لوحة مرسومة بريشة ليوناردو دافنشى، أما السيدة العجوز التى توسطت الجمع. فقد جعلت الدكتور جيرار يقول لنفسه فى رهبة:

– يا للهول.. إنها نموذج لزوجة الشيطان، إن كان للشيطان زوجة.

كانت امرأة عجوز بدينة، صارمة الملامح، حادة النظرات، اشبه ما تكون بعنكبوت ضخم سام قابع فى شبكة نسيجه.

وهز كتفيه وقال لسارة:

– إن الأم دميمة جداً.

– إن فى هيئتها ما يثير الرعب.. الا ترى هذا؟

– اعتقد هذا!

– وهناك طابع خاص فى سلوك الذين حولها نحوها.. أليس كذلك؟

– نعم.. من هم أفراد هذه الأسرة؟ هل تعرفين؟

– أنهم أسرة بونتون: الأم، والابن الأكبر، وزوجته، ثم ابن أصغر، وأخت.. وأخت صغرى ومن عجب أنهم لا يتحدثون مع أحد أو يختلطون بأحد، ولا يستطيع أحدهم أن يفعل شيئاً إلا بأمر الأم العجوز.

– يبدو أنها من النوع المستبد.

- بل إنها طاغية كما يلوح لى.

وابتسم جيرار لنفسه حين رأى سارة تركز نظراتها على الشاب الجميل بين أفراد الأسرة، ثم فكر «يبدو أنها تحبه!» وبصوت مسموع لها قال:

- هل تحدثت إليهم؟

- نعم.. أعنى.. مع واحد منهم.

- الشاب.. الابن الأصغر؟

- نعم.. فى القطار الذى جاء بنا من القنطرة، كان فى الممر بين مقصورات الدرجة الأولى.. وقد تحدثت معه.

- وما رأيك فيه؟

فترددت سارة برهة قبل أن تجيب قائلة:

- بدا لى أن فى الأمر شيئاً غير طبيعى.. فأولاً لاحظت أن وجهه يحمر بشدة ولابسط سبب.

فابتسم جيرار وقال:

- لعل أن يكون له عذراً.

وضحكت سارة وقالت:

- تعنى أنه حسبنى واحدة من صائدات الرجال؟.. لا.. أن هذا الخطر لم يطرأ على فكرى.. والرجل عادة يعرف هذا النوع من السيدات، أليس كذلك؟

فلما أومأ جيرار برأسه، استطردت هى تقول:

– إن الشىء الذى أثار اهتمامى به أننى لاحظت بوضوح أنه مضطرب الاعصاب، وخائف من شىء ما.. وهذا وحده أمر غريب! فإن الامريكيين يظهرون أمامنا عادة فى مظهر الإنسان الواثق من نفسه إلى حد كبير، وهذا الشاب ليس حدثاً.. إن سنه لا يقل عن الثالثة والعشرين.

– بل اعتقد أنه فى الرابعة أو الخامسة والعشرين.

– ومع ذلك فإنه يبدو من تصرفاته كأنه غلام.. واعتقد أن لهذه الحالة علاقة اكيدة بتلك المرأة الرهيبة.

– يبدو أنك تكرهينها جداً.

– نعم.. إننى أنفر منها وكأنها افعى شريرة النظرات.

فابتسم جيرار وقال:

– إن الأم أحياناً تبدو شريرة النظرات حين ترى ابنها مفتوناً بفتاة جميلة مثلك!

وقبل أن تقول سارة شيئاً، إذا بالشاب ريموند ينهض ويعبر القاعة إلى مائدة الكتابة حيث اختار بعض المجلات.. وحين اقترب من مقعدها أثناء عودته، نظرت إليه وقالت له:

– هل كنت مشغولاً اليوم بمشاهدة الأماكن الأثرية!!

وكانت قد اختارت كلماتها بلا تفكير، لأنها ارادت فقط أن ترى كيف سيتصرف عند سماعها.

وتوقف ريموند فجأة، ثم اضطرم وجهه بشدة ثم اجفل كجواد فزع من شيء، ثم أرسل نظرت خوف إلى الأم البدينة، وقال متلعثما:

- أوه.. نعم.. طبعاً.. نعم.

وكأنما لكزه أحد من الخلف فجأة، فإذا هو يندفع عائداً إلى الأسرة ممسكاً بالمجلة.

ومدت المرأة الشبيهة بتمثال بوذا يدا بدينة وتناولت المجلة، ولكن نظراتها كانت مركزة على وجه الشاب وهى تغمغم بكلمات شكر، ثم تحولت هذه النظرات واستقرت برهة على وجه سارة.

ونظرت سارة فى ساعة يدها ثم نهضت قائلة:

- أوه.. لقد مر الوقت بسرعة، شكراً جزيلاً على القهوة يا دكتور جيرار، يجب أن أسرع لكتابة بعض الرسائل الآن.

فنهض وصافحها قائلاً:

- سوف أراك مرة أخرى.. أليس كذلك؟

- أوه.. طبعاً.. إذا قررت السفر إلى بطرا.

- سأبذل كل جهدى فى هذا السبيل.

وابتسمت له سارة، واستدارت.. وكان طريقها إلى خارج الفرفة يمر بمكان جلوس الأسرة، وراح الدكتور جيرار يرقب الموقف، فرأى نظرات المرأة البدينة تتركز على الشاب ريموند.. ورأى ريموند يدير وجهه، لا نحو سارة، وانما بعيداً عنها، وكأنما هناك يد خفية تضغط على الوجه وتبعده عن اتجاه سارة.

ولاحظت سارة كل شىء.. ولم تتمالك أن تشعر بالاستياء من ريموند، إذ تذكرت أنها تحدثت معه فى القطار حديثاً ودياً طويلاً وتبادلا المعلومات والذكريات عن الآثار المصرية، وعن اللهجات المحلية، وكان الشاب يبدو لها متحمساً كتلميذ يقوم بأول رحلة مدرسية خارج وطنه، فما معنى موقعه الآن؟ ولماذا يشيح بوجهه عنها؟

وقال لنفسها فى استنكار:

– إننى لن أهتم بأمره بعد اليوم.

وكانت سارة تعرف تماما إنها جميلة، وجذابة، ولهذا لم يكن فى وسعها أن تقبل مثل هذا التصرف من شاب عرفته تحدثت اليه.

وبدلا من أن تكتب رسائلها، جلست أمام مرآتها تمشط شعرها وتفكر فى حياتها. كانت قد خرجت لتوها من أزمة عاطفية اليمة، إذ فسخت خطوبتها، فى الشهر السابق، مع طبيب شاب يكبرها بأربعة أعوام. وكان سبب فسخ الخطوبة، أدراكها فى النهاية أن كلا منهما له شخصية قوية، وأن الاصطدام بين شخصيتهما لابد أن ينتهى الى التعاسة إذا تم الزواج. ولكن هذه الأزمة العاطفية سببت لها آلاما نفسية عنيفة، وجعلتها تقوم بهذة الرحلة للترفيه، قبل أن تعود الى وطنها، إنجلترا، وتبدأ حياتها العلمية.

وأرتدت أفكارها من الماضى الى الحاضر وتركزت فى النهاية على الشاب ريموند. وشعرت بلون من الاحتقار له، وكان مصدر هذا الشعور ذلك الخضوع المهين الذى جعل الشاب يتجاهلها خوفا من أمه!.

ومع ذلك؟!

أن إحساسا غريبا يخامرها.. فلا شك أن هناك سبب ما.. سببا غامضا وراء تصرف الشاب!

وفجأة وجدت نفسها تقول بصوت مسموع، وبلهجة حاسمة:

- إن هذا الشاب فى حاجة الى انقاذ .. ولسوف أرى ماذا يجب أن أفعل من أجله!



إرادة قويـة

عندمـا غـادرت سـارة المكان، تلكأ الدكتـور جيـرار فى ركن من غـرفـة المكتبة لحظات، ثم مضى الى مائدة الكتب والمجـلات، يتناول صـحـيـفـة «الماتان» ومضى بها الى مقعد قريب من أسرة بونتون.

كـان فى أول الأمـر يتسلى باهتـمـام الفـتـاة الإنجليـزية سـارة بهـذه الأسـرة الأمـريكيـة. وكـان يشعر أن أهتمـامهـا هذا ينبع من اهتـمـامهـا الخـاص بواحد مـعين من أفـرادهـا.. الشـاب الجـميل الذى يشـبـه أحـد آلهة الاغـريق. أما الآن، فقد بدأ هو نفسه يهتم بأمر هذه الأسـرة حين أدرك أن هناك شيئا غامضا يحيط بهذه الاسرة.

وراح من وراء صـحـيفـتـه يختلس النظر الى أفـرادهـا،، وركـز اهـتـمـامـه أولا على الشـاب الذى أثار إعـجـاب واهتمام الانجليـزية الحسناء سـارة كنج. وأدرك جيرار على الفور أن الشاب من الطراز الذى يستهوى فتاة مثل سارة. إنها فتاة تتمتع بقوة الشخصية، وبالاتزان الفكرى وبالتفكير المنطقى السليم، وبالارادة القـوية، بينما يبـدو على الشـاب إنه مـرهـف

الحس، خيالى النزعة، كما كان فى تلك اللحظة يعانى من مؤثر عصبى شديد.. ولم يدر الدكتور جيران لماذا! لماذا تتوتر أعصاب شاب وسيم يستمتع برحلة خارج بلاده!

وحول جيرار اهتمامه الى بقية أفراد الاسرة. كان من الواضح أن الفتاة ذات الشعر الكستانى هى أخت ريموند. كان الشبه بينهما واضحا فى تركيب الجسم، وفى المظهر الارستقراطى العام. كما كانت أيضا متوترة الاعصاب مثله، وكان هذا التوتر يبدو واضحا فى صوتها وفى عباراتها السريعة، القصيرة، الحاسمة.

وسمع الدكتور جيرار مقتطفات من أحاديث الاسرة.. عبارات عادية يمكن أن تتبادلها أفراد أيه أسرة أخرى:

- ربما نذهب الى حظيرة جياد فندق الملك سليمان.

- أليس فى هذا مشقة على أمنا؟!

- ثم نمضى الى حائط المبكى فى الصباح.

- والمعبد أيضا.. إنهم يسمونه مسجد عمر.

إنها عبارات عادية يمكن أن تتبادلها أفراد أية أسرة تقوم برحلة خارج البلاد. ولكن شيئا ما فى نبرات الاصوات جعل الدكتور جيرار يشعر أن هذه العبارات لا تمت الى الحقيقة بسبب، أو بمعنى آخر عبارات تخفى وراءها معانى أخرى أعمق وأغمض وأبعد عن تفكير الشخص العادى.

ومرة أخرى اختلس جيرار نظرة من وراء صحيفته، وركزها هذه المرة على لينوكس، أكبر الأبناء.. وبدا له فى وضوح إنه إنسان يائس تماما..

فقد كانت أمارات اليأس والاستسلام ناطقة على وجهه، ومن ثم قال جيرار لنفسه: «ان المسكين يشبه مريضا بالسرطان يعلم أن نهايته اقتربت فهو ينتظرها فى استسلام، شاكرا الله على حقن المخدر التى تخفف عنه الامه.»

وتحول الدكتور جيرار بنظراته الى الفتاة الصغرى التى بدت له فى نحو التاسعة عشرة من العمر، رقيقة، صافية البشرة، ذهبية الشعر، جميلة الملامح، وكانت جالسة فى شبه ذهول، تبتسم لنفسها، وكأنها تحلق فى عالم بعيد عن مدينة القدس، وفندق الملك سليمان. وذكرته ابتسامتها الذاهلة، بابتسامات تماثيل الالهة فى معابد الاغريق. ولكنه لاحظ فجأة أن يديها اللتين كانتا فى حجرها، مشغولتين بتمزيق منديل حريرى صغير.. وكانت صدمة عنيفة لجيرار.. هذه الابتسامة الذاهلة، والجسم الساكن ثم اليدين المدمرتين!

ورفعت الام البدينة العجوز رأسها، وسعلت قليلا، ثم قالت للفتاة الصغرى:

– جنيفرا.. إنك متعبة، يحسن أن تأوى الى فراشك وأجفلت الفتاة، وجمدت أصابعها على المنديل الممزق، ثم قالت:

– إننى لست متعبة يا أماه.

وأعجب جيرار بصوت الفتاة الموسيقى.. وكانت الموسيقى فيه تضفى على أية عبارة تنطق بها رنينا عذبا يسعد الاسماع.

وردت الام بصوتها المنفر قائلة:

– لا.. بل أنت متعبة، وأنا أعرف هذا دائما. وإذا لم تنهض

للاستراحة الآن، فلن تستطيعى أن تقومى معنا بجولة الغد لمشاهدة الاثار.

- إننى فى أحسن حال يا أماه.. لا أشعر بأى تعب.

وبصوت أجش تؤذى سماعه اعصاب الاذن، قالت الام:

- لا.. إنك لست على ما يرام.. وسوف تمرضين.

- أبدا.. أبدا يا أماه.. إننى بخير.

وبدأت الفتاة ترتعد بعنف. وهنا سمع جيرار صوتا رقيقا هادئا يقول:

- لسوف أصعد معك الى غرفتك يا جينى.

ونهضت صاحبة الصوت.. السيدة الهادئة ذات العينين الرماديتين الواسعتين والشعر الفاحم.. زوجة لينوكس. ولكن الام العجوز قالت بصوت حازم:

- لا يانادين دعيها تمضى بمفردها.

وصاحت الفتاة قائلة فى احتجاج:

- لا.. إننى أريد أن تأتى نادين معى.

وتقدمت نادين نحوها خطوة وهى تقول:

- سوف أصحبك طبعا يا جينى.

ولكن الام العجوز عادت تقول:

- أن جنيفرا تفضل الذهاب الى غرفتها بمفردها.. أليس كذلك يا

عزيزتى؟

وبعد لحظة صمت، قالت جنيفرا بصوت كله اليأس والاستسلام.

- نعم.. أفضل الذهاب بمفردى.. شكرا لك يا نادين ثم استدارت ومضت بقامتها الطويلة، وخطواتها الرشيقة وأزاح الدكتور جيرار الصحيفة عن وجهه، وراح ينظر الى الام العجوز المسن بونتون، فى تأمل. وقد رآها تشيع ابنتها بنظرات تنم عن المرض، وعلى شفتيها ابتسامة غريبة غامضة. وبعد وهلة حولت المرأة العجوز نظراتها الى نادين التى عادت الى مجلسها، ورفعت هذه رأسها وبادلت حماتها النظر وقد خلا وجهها من أية تعبيرات تنم عن حقيقة مشاعرها. أما نظرة العجوز فكانت مليئة بالشر والحقد.

وقال جيرار لنفسه «يالها من امرأة طاغية فريدة من نوعها» وتذكر جيرار امراة شابة كانت تروض الوحوش.. وتذكر أن نظراتها كانت تشبه فى قوة تأثيرها نظرات هذه المراة العجوز.. وتذكر أيضا كيف كانت الوحوش تنظر الى المروضة بعيون مليئة بالحقد والكراهية، ولكنها لم تكن تستطيع الا أن تستسلم للأوامر.

وقال لنفسه: «إنها نموذج للطاغية الرهيب»

وأدرك فى تلك اللحظة المعانى الحقيقية التى كانت تختفى وراء عبارات أفراد الاسرة عند الحديث العادى.. إنها معانى تنم عن الحقد والكراهية والتمرد المكبوت.

وعاد ينظر باهتمام الى السيدة الشابة المدعوة نادين، كان خاتم الزواج فى أصبع يدها اليسرى، وقد ادرك من نظراتها السريعة القلقة الى الابن الاكبر، لينوكس، أنه زوجها، كانت نظرات زوجة الى زوج.. بل

نظرات أم الى أبن.. أم كلها العطف والحنان والقلق الى أبن ضعيف مريض هادىء الحركة، ومن نظرات نادين عرف أنها الوحيدة بين أفراد الأسرة التى لا تخشى حماتها.. إنها تكرهها، وهذا واضح جدا، ولكنها لا تخشاها.

ورغم ما ينم عليه وجهها من بؤس وقلق، بسبب حالة زوجها، فقد كانت هى الوحيدة التى تعرف معنى الحرية، كانت هى الوحيدة التى تواجه عينى الافعى دون أن ترتعد!



رحلة فى الأراضى المقدسة

بينما كان جيرار يفكر فى هذا كله، إذا برجل يدخل قاعة المكتبة، وإذا هو يتجه نحو أسرة بونتون حين وقعت عيناه على أفرادها، وكان رجلا أمريكيا فى منتصف العمر، شديد العناية بملابسه، وكان صوته رتيب النبرات وهو يتحدث قائلا:

- كنت أبحث عنكم.

وبعد أن صافح الجميع، قال للام العجوز:

- وكيف حالك الآن يا مسز بونتون؟ هل أتعبتك الرحلة؟

وللمرة الاولى كان صوت الام رقيقا بعض الشىء وهى تقول:

- لا .. شكرا .. أن صحتى كما تعلم لم تكن جيدة فى الاشهر الاخيرة.

- أنا آسف.

- ولكننى لست أسوأ حالا مما كنت..

ثم رسمت على شفتيها ابتسامة بطيئة واردفت قائلة:

– وأن نادين تهتم بأمرى وترعانى.. أليس كذلك يا نادين؟

فقالت نادين بصوت غير معبر:

– إننى أحاول أن أبذل كل ما فى وسعى.

وقال الرجل الغريب بحماس:

– إننى واثق من هذا. حسنا.. ما رأيك يالينوكس فى مدينة القدس هذه؟!

فغمغم لينوكس قائلا:

– لا أعرف.

– إننى أرجو أن أفرغ من رؤية كل شىء فى القدس خلال يومين. لقد تركت مكتب كوك للسياحة ينظم هذه العملية. إن مندوبيه سيصحبوننى الى الناصرية، وبحيرة طبرية، وبيت لحم، وبحر الجليل.. وغير هذا كله. كما أرجو أن أتمكن من زيارة مدينة بطرا الاثرية النائمة فى واد من الصخور الوردية.. إنها بعيدة عن العمران، وتحتاج الرحلة اليها ستة أيام على الأقل، ذهابا واقامة وايابا.. ولكنها جديرة بضياع هذا الوقت.

وقالت كارول:

– لشد ما أتمنى زيارتها! أن حديثك عنها يا مستر كوب مشوق جدا.

فقال المستر كوب وهو ينظر متسائلا الى المسز بونتون العجوز:

– إن الرحلة شاقة، وأعتقد أن المسز بونتون لا تتحملها، ولهذا لابد أن يبقى معها بعضكم هنا، على أن يذهب البعض الآخر لزيارة هذه

المدينة التاريخية.. إنها جديرة بالزيارة حقا.

وقالت الام.

- إننا لا نحب أن نفترق أو أن ينفصل بعضنا عن بعض.. وما رأيكم يا أولاد.

وجاءت الاجابات سريعة متوالية:

- نعم.. نعم يا أماه.

وارتسمت ابتسامة غامضة على شفتيها وهى تقول للمستر كوب:

- أترى.! أنهم يرفضون أن يتركونى.

ثم نظرت الى نادين وأردفت قائلة:

- نادين؟ إنك لم تقولى شيئا؟ ما رأيك؟

- إننى لا أريد الذهاب الى هذه المدينة، الا اذا اراد لينوكس.

فقالت الام وهى تدير رأسها الى لينوكس:

- ما رأيك يالينوكس؟ لماذا لا تأخذ نادين وتذهب الى بطرا! أنها تريد الذهاب كما يبدو.

وأجفل لينوكس قليلا، ثم قال متلعثما:

- آه.. حسنا.. لا، لا، يحسن أن نبقى معها جميعا.

وقال المستر كوب متلطفا:

- إنكم فى الواقع أسرة متماسكة.

وأحس جيرار، الذى كان يسمع هذا كله، أن صوت المستر كوب المتلطف- كان ينطوى على معان أخرى.. معان جوفاء متكلفة.

وقالت الام ردا عليه:

- إننا نحب إن نعيش معا بعيدا عن الاختلاط بالغير.

ثم أردفت قائلة لريموند:

- وبهذه المناسبة يا ريموند.. من تلك الشابة الحسناء التى تحدثت اليك منذ قليل..!

فاضطرب ريموند واضطرم وجهه وقال متلعثما:

- إننى.. إننى لا أعرف اسمها.. لقد قابلتها مصادفة فى القطار.

وبدأت المسز بونتون تنهض ببطء عن مقعدها وهى تقول:

- اعتقد أنه لا داعى للتعرف بها.

ثم اردفت قائلة بلهجة الأمر:

- حان وقت النوم.. طاب مساؤك يا مستر كوب.

- طاب مساؤك يا مسز بونتون.. طاب مساؤك يا مسز لينوكس.

وسار أفراد الأسرة وراء الأم العجوز فى طابور حزين ولم يخطر ببال احدهم أن يتخلف عنها.

وراح مستر كوب يشيعهم بنظراته وقد ارتسمت على وجهه امارات غامضة.

وكان الدكتور جيرار يعرف من تجاربه أن الأمريكيين - بعكس

الانجليز - يميلون إلى التعرف بالغير، لاسيما أثناء الرحلات خارج الوطن، ومن ثم قرر أن يتعرف بالمستر كوب ليعرف منه كل ما يمكن أن يعلمه عن هذه الأسرة الغريبة الأطوار.

وسرعان ما قدم إليه بطاقته، وبهت المستر جيفرسون كوب حين قرأ الاسم:

- الدكتور جيرار! أوه.. لقد كنت أستاذاً زائراً فى جامعات أمريكا منذ عهد قريب.. أليس كذلك؟!

- نعم.. وكانت آخرها جامعة هارفارد.

- أوه.. إننى سعيد بمعرفتك يا دكتور يبدو أن هذا الفندق مزدحم بالشخصيات العالمية، لقد رأيت فيه السير جابرييل ستانيبوم واللورد ويلدون، والسير ماندرز ستوم عالم الآثار المشهور والليدى وستولم السياسى الانجليزى المشهور والمخبر الجنائى هيركيول بوارو.

- أهو هنا.. هيركيول بوارو القصير؟!

- نعم.. قرأت فى الصحف أنه وصل إلى هنا أمس.

وفى بهو الفندق، وأمام كاسين من الويسكى، قال الدكتور جيرار للمستر كوب:

- كنت منذ مدة قصيرة تتحدث مع أسرة أمريكية نموذجية!

- نعم.. نعم.. ولكنها ليست نموذجية فى رأيى.

- يبدو أن أفرادها متماسكين ومتفانين فى علاقات بعضهم البعض!

- تعنى أنهم يدورون فى فلك الأم العجوز! نعم.. هذه هى الحقيقة..

أنها سيدة مدهشة.

- أحقاً؟

وشرب المستر كوب كأسه الثانية وقال:

- إننى لا أجد مانعاً من أن اتحدث إليك عن هذه الأسرة، أنها فى الواقع من الأسر التى تثير اهتمام الغير بغرابة سلوك أفرادها.. وأرجو الا اثقل عليك بالحديث عنها.

- لا.. لا.. مطلقاً.

وفى شىء من الارتباك قال مستر كوب:

- إن المسز بونتون صديقة قديمة لى.. أعنى المسز بونتون الشابة زوجة ليونكس بونتون، لا المسز بونتون العجوز.

- آه.. تعنى تلك السيدة الجذابة ذات الشعر الأسود.

- نعم.. أنها نادين، كنت أعرفها قبل زواجها من لينوكس، كانت يومذاك تتدرب فى المستشفى لتظفر بشهادة التمريض.. ثم ذهبت إلى قصر آل بونتون لتقضى إجازتها.. وهناك تزوجت لينوكس.

وقد كان المرحوم المر بونتون - رجل الأعمال المشهور - قد تزوج مرتين.. وماتت زوجته الأولى تاركه له لينوكس فى سن العاشرة، وريموند فى الخامسة من عمره وكارول فى الثالثة من عمرها، وكانت زوجته الثانية مسز بونتون هذه جميلة عندما تزوجها المر بونتون، أى منذ عشرين عاماً تقريباً، وأن من يراها الآن لا يمكن أن يتصور أنها كان يوماً ما جميلة، ولكن الذين رأوها فى شبابها يؤكدون هذه الحقيقة، وكانت معروفة بقوة الشخصية والذكاء الحاد والقدرة على

مواجهة كل الظروف، ومن ثم راح زوجها المر بونتون يعتمد عليها فى كل شئونه، ولاسيما بعد أن امضى السنوات الأخيرة من عمره مريضاً فى الفراش.. وبعد وفاته، كرست حياتها لتربية أولاده، وكانت قد انجبت منه ابنة صغرى، هى جنيفرا، أو جينى تلك الفتاة الرقيقة ذات الشعر الذهبى، وكما قلت لك يا دكتور جيرار كرست الأم حياتها لتربية الأبناء، حجبتهم عن العالم تماماً وجعلتهم يعيشون معها فى قصر الوالد دون أى اختلاط مع أحد، وكانت النتيجة أنهم نشأوا.. متوترى الأعصاب، ضعاف الشخصية، بلا تجارب، وبلا أية قدرة على اكتساب الأصدقاء، وهذا الأمر سيىء جداً.

- نعم.. بكل تأكيد.

- ولكننى لا أشك فى أن المسز بونتون كانت حسنة النية.

- ألم يحاول أحدهم أن يقوم بعمل ما؟

- لا.. مطلقاً.. لقد ترك لهم أبوهم ثروة طائلة.. وأوصى بها كلها لزوجته، على أن يتقاسمها أبناؤه - الذكور والأناث - بالتساوى بعد وفاتها.

- وهذا يعنى أنهم يعتمدون فى معاشهم عليها تماماً؟

- نعم.. والاسوأ من هذا أن أحدا منهم لم يحاول أن يشغل وقته بعمل أو بهواية ما أو بالرياضة أو التردد على صالات الموسيقى والرقص.. صحيح أن ريموند لايزال شاباً ولاتزال الفرصة أمامه ليبحث عن عمل يرتزق منه.. أما لينوكس، فإنه قد انتهى.. ضاعت منه كل الفرص ليثبت جدارته بالحياة.

- لاشك أن زوجته غير سعيدة بهذا الوضع.

- طبعاً يا دكتور جيرار.. إن نادين فتاة رائعة، وأنا شديد الاعجاب بها.. ورغم أنها لا تشكو، إلا أنها غير سعيدة.. أؤكد لك هذا!!

- وماذا فى وسعها أن تفعل يا مستر كوب؟

- لو كنت مكانها لطلبت من لينوكس أحد أمرين.. إما أن يعيش كرجل حر، أو أن يطلقها.

فقال جيرار باسماً:

- لعلها لا تريد أن تنفصل عنه.

- لماذا؟ أن هناك رجالاً كثيرين يتمنون أن يتزوجوا منها.

- مثلك.. مثلاً!!

- نعم.. وأنا لا أخجل من التصريح بهذا.. أننى احترمها وأحبها أشد الحب وأتمنى أن أراها سعيدة.. فإذا تأكدت أنها سعيدة مع لينوكس فسوف اختفى من حياتها فوراً.

- وإذا لم تكن؟

- فى هذه الحالة يجب أن أكون بجانبها، فإذا احتاجت إلىّ، أسرعت لنجدتها.

فغمغم جيرار قائلاً:

- أى تعتبر نفسك فارس النجدة المثالى!

فنظر كوب إليه بارتياب، وعندئذ قال جيرار موضحاً:

- أعنى أنك تتخذ موقف البطل النبيل الذى يضع حياته تحت أمر البطلة دون انتظار لشىء.

- أننى أريد فقط أن أكون بجانبها عندما تحتاج إلى معونتى.

كانت سارة كنج تقف فى صحن المسجد الأقصى وتتأمل بإعجاب شديد روعة بنائه، وعظمة قبته المشيدة على صخرة مرتفعة، وجمال نقوشه، حين سمعت وقع أقدام كثيرة فى الجانب الآخر، فلما استدارت شاهدت أسرة بونتون ومعها المرشد السياحى الذى كان يشرح لها روعة هذا المسجد الأثرى الجميل، وكانت مسز بونتون العجوز تسير معتمدة على ذراعى لينوكس وريموند، وكانت نادين ومستر كوب الأمريكى يسيران وراءهم، أما كارول فكانت فى المؤخرة.

ولمحت كارول سارة فوقفت مترددة، ثم أسرعت وتقدمت منها خلسة عن بقية الأسرة وهمست لها قائلة:

- معذرة.. يجب أن اعتذر إليك.

- لماذا؟

- عن أخى ريموند، لاشك أنك استأت منه بسبب موقفه معك أمس حين تحدثت إليه.. ارجو أن تلتمسى له العذر.. أنه لم يتعمد أن يتجاهلك.. أبداً.

وشعرت سارة بغرابة الموقف، لماذا تحاول هذه الفتاة أن تعتذر، بمثل هذه اللهفة، عن تصرفات أخيها نحوها.. نحو فتاة غريبة عنه تماماً!!

وقالت للفتاة وقد شعرت بغريزتها أن هناك شيئاً غير طبيعى فى الموقف بأجمعه:

- ولماذا تعتذرين عن سلوك أخيك؟

- لقد تحدث أخى معك فى القطار.. أليس كذلك؟

- نعم.. أو على الأصح أنا التى تحدثت إليه.

- ومع هذا لاحظت أمس أن أخى كان خائفاً من الحديث معك أمس!

- خائفاً!

واضطرم وجه كارول بعد أن كان شاحباً وقالت:

- إن الأمر يبدو غريباً.. ولكن.. أن أمى.. أنها ليست على ما يرام، وهى تكره أن نختلط بأحد خارج محيط الأسرة.. ولكننى أعرف أن أخى ريموند يحب أن يتعرف بك.

وقبل أن ترد سارة، استطردت كارول قائلة بلهفة:

- أعرف أننى سأبدو فى نظرك بلهاء.. ولكننا أسرة غريبة الأطوار.

ثم تلفتت حولها واردفت قائلة:

- يجب أن اتصرف بسرعة قبل أن تكتشف أمى غيابى.

وقال سارة وقد عقدت عزمها على شىء:

- لماذا لا تمكثين معى إذا كانت هذه رغبتك؟ ماذا يمنعك من أن تسيرى معى قليلاً فى الخارج.

- أوه.. لا.. لا.. لا أستطيع أن أفعل هذا.

- لماذا؟

- لأن أمى.. أمى.

وسكتت وقالت سارة بهدوء:

- أنا أعرف أن من العسير على الأمهات أحياناً أن يدركن أن أبناءهن قد كبروا وأصبح فى مقدورهم الاعتماد على أنفسهم، ولكن من الخطأ الشديد أن يستسلم الإنسان لمثل هذه النزوات، يجب على الابن أو الابنة فى سن معينة أن تدافع عن حقوقها المشروعة.

ففمغمت كارول قائلة:

- أنك.. أنك لا تعرفين حقيقة الظروف التى نعيش فيها.

- مهما تكن هذه الظروف، فإن لكل إنسان قدراً معيناً من حرية التصرف، وأن عليه أن يدافع عن هذا القدر بكل ما يملك.

- الحرية.. أننا لا نعرف ما هى هذه الحرية.

- أننى لا أصدق هذا.

- اسمعى.. يجب أن أحاول أن أشرح لك الأمر.. لقد كانت أمى قبل زواجها من أبى، أنها فى الواقع ليست أمى وأنما زوجة أبى فقط، كانت سجانة فى سجن بنيويورك، وكان أبى مديراً لهذا السجن قبل أن يتزوجها ويستقيل ويشتغل بالأعمال الحرة.. حسناً.. ومنذ تزوجت أبى وهى تمارس معنا مهنتها السابقة.. تعاملنا كما يعامل السجان المسجونين.. وهذا ما يجعلنا نشعر أننا نعيش فى سجن.

ثم تلفت وراءها وقالت بسرعة:

- إنهم سيفتقدوننى.. يجب أن أعود بسرعة.

وامسكت سارة بذراعها قبل أن تنفلت وقالت هامسة:

- انتظرى لحظة.. يجب أن نلتقى مرة أخرى ونتحدث.

- لا.. لا استطيع.

- بل تستطيعين.. تعالى إلى غرفتى بعد أن تأوى إلى فراشك، أننى فى الغرفة رقم ٣١٩.. لا تنسى هذا الرقم.

وتركت ذراعها، وانفلتت كارول عائدة إلى أسرتها.

وشردت أفكار سارة وهى تشيع الفتاة بنظراتها، ثم تنبهت على صوت للدكتور جيرار وهو يقول بجانبها:

- طاب صباحك يا مس كنج، إذن فقد كنت تتحدثين مع المس كارول بونتون!

- نعم.. لقد تبادلنا أغرب محادثة يمكن أن تتصورها.. دعنى أسردها عليك.

ولما فرغت من سرد مضمون المحادثة عليه، قال جيرار معلقاً على نقطة هامة فى الحديث:

- إذن فقد كانت سجانة.. تلك الخرتيتة القبيحة! أن هذا يفسر تصرفاتها القاسية مع أفراد الأسرة.

- هل تعنى أن عملها السابق كسجانة هو السبب فى طغيانها؟

- لا.. وأنما العكس هو الصحيح.. أنها لا تحب الاستبداد والطغيان لأنها كانت سجانة، وإنما حبها الغريزى للاستبداد والطغيان هو الذى دفعها للاشتغال بهذا العمل، فى رأيى أنها امتهنت هذا العمل بدافع

غريزى للسيطرة على غيرها من البشر وأنا واثق من أنها تستمد سعادتها من رؤية الآخرين يتعذبون، وكلما كان عذابهم نفسياً وفكرياً، كانت سعادتها أشد.

وأخبرها جيرار بحديثه مع مستر كوب الأمريكى، وعندئذ قالت سارة مفكرة:

- هذا يعنى أنه لا يعرف حقيقة ما يجرى فى محيط هذه الأسرة.

- وكيف يمكنه أن يعرف وهو ليس عالماً نفسياً.

- صدقت.. أنه أمريكى عادى ينظر إلى الحياة من زواياها الواضحة البسيطة، أنه يؤمن بالخير دون الشر، ويعتقد أن أسرة بونتون من الأسر النموذجية المترابطة بوشائح الحب والوفاء، وهو يعتقد أن تصرفات المسز بونتون نحو أفراد أسرتها نابعة من حبها لهم، ورغبتها فى حمايتهم من شرور الغير.

- أعتقد هذا.

- ولكن لماذا لا يحاولون الهرب منها!! أن هذا فى مقدورهم لو أرادوا.

- لا.. أنهم لا يستطيعون.. لقد بذرت فى نفوسهم منذ الطفولة الايمان بأنهم لا يستطيعون الحياة بدون رعايتها وحمايتها، لقد عرفت بقوة شخصيتها كيف تسيطر على أفكارهم وتخضعها لارادتها، أنهم الآن كالنائمين مغناطيسياً الذين لا يستطيعون إلا أن ينفذوا رغبات المنوم.. وأن طول اقامتهم فى سجن شخصيتها جعلتهم عاجزين عن محاولة الخروج من هذا السجن حتى لو كانت أبوابه مفتوحة أمامهم.

وصمت جيرار برهة قبل أن يردف قائلاً:

- وأن واحداً منهم، على الأقل فقد الرغبة تماماً فى التحرر.. أنه المسكين لينوكس.

فقالت سارة فى ضيق:

- كان ينبغى على زوجته نادين أن تفعل شيئاً من أجله، كان يجب أن تدفعه إلى تحطيم قيوده والخروج إلى الحياة الواسعة.

- من يدرى.. لعلها حاولت هذا وفشلت.

- أتعتقد أنها أيضاً خاضعة لسيطرة هذه الشيطانة؟

- لا.. لا أعتقد أن للمرأة الطاغية سيطرة عليها، ولهذا فإنها تحقد عليها حقداً قاتلاً.. راقبى نظراتها إليها.

وفجأة قالت سارة بحماس:

- إن هذه المرأة العجوز يجب أن تقتل.. وأنى لأنصح بأن توضع لها كمية من الزرنيخ فى قدح شاى الصباح!

ثم اردفت قائلة بلهجة حادة:

- وماذا عن الابنة الصغرى، ذات الشعر الذهبى، والابتسامة الذاهلة!

وقطب جيرار جبينه وقال:

- إننى لا أدرى.. فالواقع أن الأمر هنا يختلف وأن كان شاذاً أيضاً.. أنها ابنة المرأة العجوز.. ابنتها الحقيقية.

– نعم.. وهذا يجعل الموقف معها يختلف.

– لا أظن أنه يختلف كثيراً.. بل لعل سيطرة الأم على هذه الابنة أقوى من سيطرتها على بقية أفراد الأسرة.

* * *

تساءلت سارة فى نفسها بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل:

– ترى هل ستأتى كارول كما طلبت منها؟

وفيما هى تشغل نفسها بإعداد قدح من الشاى قبل أن تأوى إلى الفراش، إذا باب الغرفة يفتح، وإذا كارول تدخل على أطراف أصابعها وتقول بأنفاس لاهثة:

– كنت أخشى أن اجدك نائمة.

فقالت سارة بصوت هادى:

– إننى فى انتظارك.. تعالى وأشربى معى قدحاً من الشاى.

وقالت كارول بعد أن هدأت نفسها:

– هل تتصورين أننا لم نذهب فى حياتنا الى المدرسة!

– الى هذا الحد؟

– نعم كان المدرسون الخصوصيون يعلموننا فى البيت، بل إننا لم نر الدنيا الا فى هذه الرحلة فقط..

– لا شك أنكم سعداء بها جدا.

– أوه.. جدا جدا.. إننا نعيش كأننا فى حلم جميل. وكل ما نخشاه

أن نستيقظ بعد أيام ونجد أنفسنا داخل السجن مرة أخرى ولكن.. مادمتم غير سعداء فى الحياة مع هذه «الأم»، فلماذا لا تنفصلون عنها؟

فقالت كارول بخوف:

- أوه.. لا .. كيف يمكننا هذا؟ أعنى. إنها لن تسمح لنا بهذا ابدا.

- ولكنها لا تستطيع أن تمنعكم. إنكم قد بلغتم جميعا سن الرشد.

- إننى فى الثالثة والعشرين من عمرى.

- تماما!.

- ومع ذلك فإننى لا أدرى أين أذهب.. وماذا يمكن أن أفعل خارج البيت.

ورأت سارة أن تغير الموضوع بعد أن أشفقت على الفتاة المعذبة، ومن ثم قالت:

- هل تحبين زوجة أبيك هذه؟

وهزت كارول رأسها ببطء وقالت بصوت هامس مرتعد بالخوف:

- ...نى أكرهها .. وكذلك ريموند.. وكثيرا ما تمنينا موتها.

ومر... غيرت سارة الموضوع، فقالت:

- حدثينى ... أخيك الأكبر.

- لينوكس؟.. إننى لا أدرى ماذا دهى لينوكس! إنه لا يكاد أن ينطق بكلمة الان.. إنه يعيش كأنه فى حلم أو فى يقظة حالمة.. وأن زوجته نادين لتشعر بالقلق البالغ من أجله.

- إنك تحبين زوجة شقيقك.. أليس كذلك؟

- نعم.. إن نادين مختلفة عن زوجة أبى. إنها دائما عطوف ورقيقة وهى أيضا ليست سعيدة.

وصمتت كارول برهة قبل أن تستطرد قائلة:

- إننى لا أعتقد أن زوجة أبى تحب نادين، إن نادين غريبة الاطوار بعض الشىء، وأهم ما يميزها إنك لا تعرفين حقيقة مشاعرها.. إن وجهها لا ينم عما يجرى فى داخل نفسها أو عقلها.. وقد حاولت كثيرا أن تساعد أختنا الصغرى جينى على أحتمال هذه الحياة، ولكن زوجة أبى كانت تضيق بهذه المساعدات وترفضها.

- تقصدين جنيفرا، أختك الصغرى؟.

- نعم.. جنيفرا.. إنها أختنا من أبينا.

- وهل هى غير سعيدة أيضا؟.

- إن جينى تبدو غير عادية فى الايام الاخيرة، وأنا لم أعد افهمها إنها كما ترين رقيقة مرهفة، وأن أمها تهتم بها أكثر من اللازم، وهذا يزيد من سوء حالتها ومن شعورها بالقيد.

وفجأة نهضت كارول قائلة:

- لا يجب أن أزعجك أكثر من هذا. إننى شاكرة لك هذه الفرصة التى أتحت لى فيها الحديث معك. ولا شك إنك ستعتقدين إننا أسرة عجيبة جدا.

فقالت سارة ببساطة:

- إن كل انسـان لا يخلو من غـرابة الاطوار فى كثيـر من الحـالات. أرجو أن تزورينى مـرة أخرى.. ويمكنك أن تصحبى أخاك ريموند إذا شئت.

فهتفت كارول بابتهاج:

- هل يمكننى هذا حقا؟.

- نعم.. لسوف ندبر أمـر مسـاعـدتكم سـرا. وأرجو أن أقـدمكم الى صديق لى.. الدكتور جيرار.. إنه طبيب فرنسى مشهور.

واضطرم وجه كارول وهى تقول:

- مـا أجـمل هـذا وأروعـه.. ولكننى أخـشى أن تكتـشف زوجـة أبى أمرنا.

وكادت سـارة أن تنطق بعبارة قاسية ضد تلك المرأة الطاغية، ولكنها كتمت مشاعرها وقالت بهدوء:

- وكيف يمكنها أن تعرف؟ طابت ليلتكم يا عزيزتى كارول.. غدا فى مثل هذا الوقت نلتقى مرة أخرى.

- نعم.. نعم.. لأننا قد نرحل بعد غد.

- إذن فليكن لقاؤنا غدا فى مثل هذا الوقت بالتأكيد.. طابت ليلتكم.

- طابت ليلتكم.. وشكرا جزيلا.

وبوجه كله السعادة والرضى غادرت كارول الغرفة بهدوء، وسارت فى الممر، ثم صعدت الدرجات إلى الطابق الاعلى حيث تقع غرفتها.. وما كادت أن تفتح الباب وتدخل حتى تسمرت فى مكانها من فرط الرعب.

لقد رأت زوجة أبيها، بسمتها المفزع - جالسة فى مقعد وثير بجوار المدفأة وقد ارتدت ثوباً قرمزياً ضاعف من بشاعة منظرها.

وتركزت نظرات المسز بونتون النارية على وجهها وهى تقول لها:

- أين كنت؟

- أنا.. أنا.. كنت.. أنا.

- أين كنت؟

وارتعدت كارول وهى تسمع هذا الصوت الذى يشبه فحيح الافعى، ولم يسعها إلا أن تعترف قائلة:

- كنت أزور المس كنج.. سارة كنج.

- أهى نفس الفتاة التى تحدثت إلى ريموند هذا المساء!

- نعم يا أماه.

- هل اتفقتما على اللقاء مرة أخرى؟

وتحركت شفتا كارول بكلمة «نعم» دون أن يصدر الصوت، وقالت المسز بونتون:

- متى؟!

- غدا فى مثل هذا الوقت.

- عليك ألا تذهبى.. هل تفهمين؟

- نعم يا أماه.

- عدينى بهذا.

- اعدك يا أماه.

ونهضت المسز بونتون بمشقة من مقعدها، وأسرعت كارول آليا إلى مساعدتها، وقالت العجوز وهى تغادر الغرفة متوكئة على عصاها:

- عليك ألا تتصلى بهذه المس كنج اطلاقاً.. اتفهمين.

- نعم يا أماه.



الصراحة

- هل استطيع أن اتحدث معك لحظة؟

واستدارت نادين بسرعة حين سمعت هذه العبارة وإذن هى تجد نفسها فى مواجهة شابة مجهولة لديها تماماً وإن كانت على جانب كبير من الجمال.

وقالت نادين آلياً وهى تتلفت حولها فى قلق:

- نعم.. نعم.. طبعاً.

- ان اسمى سارة كنج.

- أوه.. حسناً.

- مسز لينوكس.. لسوف أخبرك بأمر عجيب.. لقد تحدثت مع أخت زوجك مدة طويلة الليلة قبل الماضية.

وطافت سحابة قلق بوجه نادين وهى تقول:

- تحدثت.. مع جينى!

- لا.. مع كارول.

وانقشعت سحابة القلق من وجه نادين وقالت فى شىء من الارتياح:

- أوه.. فهمت.. مع كارول.. ولكن كيف أمكنك هذا؟

- جاءت إلى غرفتى بعد منتصف الليل.

وارتفع حاجبا نادين فى دهشة ثم قالت:

- لاشك أن هذا التصرف كان غريباً فى نظرك يا مس كنج؟

- لا.. لأننى أنا التى دعوتها.

- أوه.. ما أسعدنى بهذا.. أننى سعيدة بصداقتك لكارول.

- لقد تفاهمنا معاً بسرعة.. واتفقنا على اللقاء مرة أخرى فى الليلة الماضية.. ولكن كارول لم تأت.

- لم تأت؟!

- نعم.. وقد مررت بها أمس فى بهو الفندق وتحدثت اليها همساً لاذكرها بالموعد، ولكنها لم تجب على، وانما نظرت إلى بسرعة، ثم استدارت واندفعت بعيداً عنى.

- أهكذا؟!

ولم تستطع سارة أن تستمر فى حديثها.. ومن ثم قالت نادين:

- إن كارول فتاة مرهقة الأعصاب جداً.

- إننى طبيبة يا مسز لينوكس، ولهذا أرى أن انعزال اختك عن المجتمع يضرها نفسياً وبدنياً.

- إذن فأنت طبيبة؟ أن هذا يجعل الموقف مختلفاً.. أعنى يمكننى أن

اتحدث معك بصراحة.

- شكراً.. ولكن.. هل ادركت ما أعنى؟

- نعم.. ولكن حماتى فى حالة صحية سيئة، وهى تكره أشد الكراهية أن يتدخل الغرباء فى شئوننا الخاصة.

- ولكن كارول فتاة رشيدة.. من حقها أن تتصرف كما تشاء.

فهزت نادين رأسها وقالت:

- إنها بالغة الرشد سناً وجسماً.. أما عقلاً، فلا، ولعلك لاحظت هذا أثناء حديثك معها، وأنها فى حالات الطوارىء تتصرف كطفل خائف.

- هل تعتقدين أن هذا ما حدث؟! هل امتلأ قلبها خوفاً فلم تحضر فى الموعد؟!

- يبدو لى يا مس كنج أن حماتى اكتشفت علاقتك بها فحرمت عليها الحديث معك.

- وهل استسلمت كارول لأوامرها؟

- هل يمكنك أن تتصورى أن فى مقدور كارول أن تفعل غير هذا؟!

وادركت سارة من نظرات نادين أنها ليست على استعداد لمواصلة الحديث فى هذا الموضوع، كما ادركت أنها خسرت أول جولة ضد المرأة الطاغية.

وصاحت فى النهاية:

- أن هذا كله خطأ.. خطأ.

ولم تقل نادين شيئاً.. ولكن نظراتها كانت تدل على أنها تعرف هذه الحقيقة، وتعرف أيضاً أن لا أمل فى اصلاح هذا الخطأ.

وفتح باب المصعد الذى كانتا واقفين أمامه، وخرجت منه المسز بونتون متوكئة على عصاها، ومعتمدة على ذراع ريموند، واجفلت سارة قليلاً حين رأت نظرات المرأة العجوز تنتقل من وجهها إلى وجه نادين.. وأسرعت هذه إلى حماتها وشقيق زوجها تاركة سارة واقفة بمفردها.

وقالت مسز بونتون لنادين:

- أهذه أنت يا نادين؟ حسناً.. لسوف أجلس واستريح قليلاً قبل أن أخرج.

وجلست نادين بجوارها تنصت إليها وهى تسألها قائلة:

- مع من كنت تتحدثين يا نادين؟

- مع نزيلة هنا تدعى المس كنج.

- آه.. الفتاة التى تحدثت مع ريموند فى تلك الليلة! حسناً لماذا؟! لماذا لا تذهب وتتحدث معها يا ريموند الآن! أنها هناك عند مائدة الكتابة فى قاعة المكتبة.

وارتسمت على وجه العجوز ابتسامة خبيثة وهى تتأمل ريموند.. وكان وجه الشاب قد اضطرم بشدة واشاح برأسه وهو يتمتم بكلمات غامضة.

- لماذا ألا تجيب يا ولدى؟

- أننى لا أريد أن أتحدث معها.

– أحقاً؟ أنك لا تريد أن تتحدث معها أم أنك لا تستطيع رغم لهفتك إلى الحديث معها؟!

ثم اخذتها نوبة سعال حاد .. فلما هدأت قالت لنادين:

– إنى مستمتعة بهذه الرحلة يا نادين.. وما كنت لأحرم نفسى منها بأى ثمن.

– حسناً يا أماه.

– ريموند!

– نعم يا أماه!

– أحضر لى ورقة كتابة من مائدة الكتابة التى فى قاعة المكتبة.

ومضى ريموند مطيعاً.. وراحت نادين ترقب المرأة العجوز وهى تتأمل ريموند بجوار سارة ورفعت هذه وجهها مشرقاً بالأمل.. ولكن الأمل انطفأ فجأة حين مضى ريموند فى طريقه حيث تناول بضع أوراق بيضاء، وعاد بها إلى زوجة ابيه وقد شحب وجهه وتصبب العرق على جبينه.

وتنهدت المرأة العجوز بارتياح وهى تتأمل وجه الشاب.. وفجأة رأت نظرات نادين مركزة عليها، فاستشاطت غضباً وقالت:

– لقد نسيت أن اتناول نقط القلب.. هاتيها لى يا نادين.

– بكل تأكيد.

وعبرت نادين البهو إلى المصعد، وشيعتها المسز بونتون بنظرات افعوانية، أما ريموند، فقد ظل جالساً ووجهه ناطق باليأس العميق.

وصعدت نادين إلى الطابق العلوى، وسارت فى الممر، وعبرت غرفة الجلوس فى جناح الأسرة، ورأت لينوكس جالساً فى صمت بجوار النافذة وقد فتح بين يديه كتاباً لا يقرأ فيه، ولما شاهد نادين قال متنبهاً من شرود أفكاره:

– آه.. نادين؟

– لقد جئت لاحضر نقط القلب لوالدتك.. أنها نسيتها.

ودخلت غرفة نوم المسز بونتون، وهناك وضعت فى نصف كوب عدد النقط المطلوبة تماماً من زجاجة صغيرة، ولما عادت إلى غرفة الجلوس، توقفت وقالت:

– لينوكس!

ومرت برهة قبل أن يجيب، وكأن نبرات صوتها كانت تأتى إليه من بعيد:

ووضعت نادين الكوب بعناية على منضدة قريبة، ثم وقفت بجوار زوجها وقالت له:

– لينوكس.. أنظر إلى ضوء الشمس.. هناك.. خارج النافذة.. أنظر إلى الحياة.. أليست جميلة.. فى مقدورنا أن نستمتع بها بدلاً من بقائنا فى هذا المكان.

فقال ببلادة:

– إننى آسف.. هل تريدين أن نخرج لنتمشى ليلاً؟

فقالت بسرعة:

– نعم.. أريد أن أخرج معك لنتمشى فى الحياة.. نعيش حياتنا سعيدين.. فى أى مكان.

فانكمش فى مقعده، وبدت فى عينيه نظرات الطائر الذى وقع فى الشبكة، ثم قال:

– نادين.. يا عزيزتى.. هل يجب أن نعود إلى الحديث فى هذا الأمر مرة أخرى؟

– نعم.. يجب.. يجب أن نمضى لنعيش حياتنا فى مكان ما.

– كيف يمكن هذا ونحن بلا مال.

– يمكننا أن نكسب ما نحتاجه من مال.

– كيف يمكننا هذا.. ماذا استطيع أن أفعل؟ أننى لا أحسن القيام بعمل لكسب المال.. أننى بلا مؤهلات.. وهناك آلاف من الشباب والرجال المؤهلين للعمل لا يجدون أعمالاً.. فكيف استطيع أنا!

– سوف أكسب ما نحتاج إليه كلانا.

– يا طفلتى العزيزة.. أنك لم تظفرى بشهادتك فى التمريض.. أن هذا هو المستحيل.. ليس أمامنا أى أمل.

– لا.. إن حياتنا هذه هى المستحيلة.. هى التى لا أمل فيها.

– أنك لا تعرفين ماذا تقولين.. أن أمنا تعاملنا بكرم.. أنها تحيطنا بكل ألوان الترف.

– إلا الحرية.. لينوكس.. يجب أن تحاول.. تعال معى اليوم.. الآن.

– نادين.. هل جننت؟

- لا .. أننى عاقلة .. عاقلة تماماً، أننى أريد الحياة .. أريد أن أنعم بالحرية معك .. فى ضوء الشمس .. مع الناس .. وليس فى ظل هذه الطاغية التى تستمد سعادتها من شقائنا .. اصغ إلىّ يا لينوكس .. أننى أحبك، وأن بينى وبين زوجة أبيك معركة حياة أو موت .. فهل ستقف بجانبى أم بجانبها؟

- بجانبك طبعاً.

- إذن افعل ما اطلبه منك.

- هذا مستحيل.

- لا .. ليس مستحيلاً يا لينوكس .. أننا لم نعد اطفالاً، بل إن فى امكاننا الآن أن ننجب اطفالاً.

- أن أمى تريد هذا .. وقد تمنيته كثيراً.

- أنا أعرف .. ولكننى لن أنجب اطفالاً ليعيشوا معنا فى هذا السجن أن أمك تستطيع أن تؤثر عليك، ولكنها لا تستطيع هذا معى.

فغمغم لينوكس قائلاً:

- إنك تثيرين غضبها أحياناً .. وليس هذا من الحكمة فى شىء.

- إنها تغضب حين تتبين عجزها عن السيطرة على أفكارى.

وبعد برهة صمت قالت:

- هل ترفض إذن أن تخرج معى من هذا السجن إلى الحياة، حسناً أننى لن أرغمك، ولكننى حرة فى الخروج منه، واعتقد أن هذا ما سوف أفعله.

فحملق فيها مبهوتاً وتمتم قائلاً فى تلعثم:

- ولكن.. ولكن أمى لن توافق على هذا.

- إنها لن تستطيع أن تمنعنى.

- ومن أين لك المال؟

- سوف اقترضه أو استجديه أو أسرقه.. وعليك أن تفهم يا لينوكس أنه ليس لأمك أى سلطان علىّ، أننى استطيع أن أمضى أو أبقى حسب رغبتى، وقد بدأت أشعر أننى لم أعد أطيق البقاء هنا أكثر من هذا.

- نادين.. لا تتركينى.. أرجوك.. لا تتركينى.

وعاد يكرر ذلك حين رآها تنظر إلى مفكرة دون أن يعبر وجهها عن شىء.

وكان ملهوفاً كطفل خائف.. وأشاحت بوجهها حتى لا يرى الألم العميق الذى ارتسم فى عينيها.

وركعت هى بجانبه قائلة:

- إذن تعال معى.. تعال معى.. أنك تستطيع، نعم، أنك تستطيع لو اردت.

ولكنه تراجع عنها بعيداً وتمتم قائلاً:

- لا أستطيع.. ليست لى الشجاعة على مواجهة الحياة.

عندما دخل الدكتور جيرار مكتب كاسل للسياحة، وجد سارة كنج واقفة هناك.. وقد بادرته قائلة بعد أن القت عليه تحية الصباح:

– إننى اتفق مع مدير المكتب على رحلة إلى مدينة بطرا الأثرية، وقد بلغنى أنك ذاهب إليها أيضاً.

– نعم.. لقد وجدت أن فى مقدورى الذهاب إليها.

– إننى سعيدة بهذا.

– ترى هل ستكون جماعة كبيرة العدد؟

– يقولون إن هناك امرأتين اخريين.. وأنت وأنا والمرشد السياحى فى سيارة واحدة.

فانحنى جيرار وقال:

– إننى سعيد بهذا أيضاً.

ثم التفت إلى مدير المكتب وأتم اجراءات القيام بالرحلة، وبعد قليل عاد وانضم إلى سارة وهو يمسك ببريده الخاص، وغادر المكتب إلى الخارج حيث كان الجو صافياً والهواء منعشاً وأن كان على شىء من البرودة.

وسألها جيرار قائلاً:

– ماذا وراءك من انباء عن أصحابنا آل بونتون! لقد امضيت هذه الأيام الثلاثة الأخيرة فى رحلة إلى بيت لحم والناصرية وغيرهما من الأماكن التاريخية.

وراحت سارة تسرد عليه مجهوداتها – الفاشلة – لتوطيد علاقتها ببعض أفراد أسرة بونتون، ثم اختتمت حديثها قائلة:

– ولكننى فشلت فى محاولاتى على أية حال، وسوف يرحلون عن

الفندق اليوم.

- إلى أين؟

- لا أعرف.

ثم اردفت قائلة باستياء:

- إننى أشعر بحماقتى فى تصرفاتى مع هذه الأسرة.

- لماذا؟

- إن محاولة التدخل فى شئون الغير حماقة كبرى.

فهز جيرار كتفيه وقال:

- العبرة بالهدف من هذا التدخل.. إذا كان الهدف خيراً، فلا بأس واعتقد أنك اردت التدخل فى شئون هذه الأسرة بدافع من العطف على بعض أفرادها البؤساء.

- ولكننى لم أنجح فى شىء.

- وماذا لو انك واصلت مجهوداتك؟

- وهل تعتقد أن هناك املاً فى مساعدة ريموند؟

- نعم.

فتنهدت سارة وقالت:

- كان يجب أن أواصل المحاولة.. ولكن الوقت قد فات.

* * *

كان بهو الفندق مسرحاً لنشاط كبير بسبب استعداد عدد من النزلاء للقيام ببعض الرحلات إلى الأماكن الأثرية وأمام باب الفندق الكبير كان ثمة عدد من السيارات المحملة بالامتعة تتأهب للانطلاق وكان لينوكس بونتون وزوجته نادين والمستر كوب واقفين أمام سيارة فارهة، يشرفون على إعدادها للرحيل.

وفى البهو رأت سارة مسز بونتون جالسة فى مقعد وملتفه بمعطف كبير فى انتظار البدء بالرحيل.. وشعرت باشمئزاز غريب وهى تنظر إلى تلك المرأة التى بدت لها كرمز للشر والقسوة.

وفجأة احست بالعطف عليها.. لقد تذكرت أن هذه المرأة ولدت هكذا.. وأن الميل الشديد إلى السيطرة والاستبداد نشأ معها منذ طفولتها وأن على الإنسان أن يلتمس لها بعض العذر وأن يشفق عليها ويحاول أن يفهم ظروفها.. ولو أن أبناءها أو أبناء زوجها على الأصح نظروا إليها بعين سارة فى تلك اللحظة، لاشفقوا عليها ورثوا لحالها.. لأن سارة كانت تراها من زاوية جديدة من زاوية جعلت المرأة فى نظرها مخلوقة تستحق العطف والرثاء.. مخلوقة حمقاء، شريرة بطبعها، عجوزاً سيئة الصحة.

وتقدمت سارة نحوها بجرأة وقالت لها:

– طاب يومك يا مسز بونتون.. أرجو أن تكونى قد استمتعت برحلة جميلة.

والقت المرأة عليها نظرات امتزج فيها الشر مع الغضب المكبوت، ثم أشاحت بوجهها دون أن تجيب.. وهنا قالت سارة:

– إنك تعاملينني بخشونة لا مبرر لها يا مسز بونتون.. «وقالت

لنفسها: ما هذه الحماقة يا سارة.. مالك أنت وهذه المرأة الغريبة عنك!».

وهنا استطردت قائلة للمرأة العجوز:

- أنك تحاولين أن تمنعيني من صداقة ريموند وكارول: ألا تدركين أن هذه محاولة صبيانية حمقاء؟ أنك تريدين أن تجعلى من نفسك صنماً يعبد، ولكنك فى الواقع مخلوقة جديرة بالرثاء والشفقة، ولو كنت منك لتخليت عن كل هذه الحركات المسرحية، ولاشك أنك ستزدادين كراهية لى بسبب هذه الصراحة، ولكننى لست نادمة، لأننى ارجو أن تعيدى النظر فى تصرفاتك وتحاولى أن تسعدى نفسك بإسعاد الناس حولك.

وتوقفت سارة عن الحديث برهة.. وكانت المسز بونتون قد تجمدت فى مقعدها، وبذلت محاولات عديدة لتقول شيئاً، ولكن لسانها ظل يلعق شفتيها الجافتين دون أن تتمكن من قول عبارة واحدة بصوت مسموع.

وعادت سارة تقول فى تحد:

- انتظرنى هنا لحظة واحدة يا ريموند.

ثم أسرعت عائدة ولحقت بالدكتور جيرار عند منعطف الممر الطويل وامسكت بذراعه وقالت فى لهفة وخوف:

- أنهم سيأخذوننى بعيداً.. وقد يقتلوننى.. أننى لست واحدة منهم، أن اسمى ليس بونتون.

ثم اردفت قائلة بسرعة بالغة:

- سوف أفضى إليك بسر خطير.. أننى من أسرة مالكة.. وارثة لعرش دولة كبيرة، ولهذا فإن الأعداء يحيطون بى من كل جانب، أنهم يحاولون قتلى بالسم.. أيمكن أن تساعدنى!

وابتعدت عنه حين سمعت وقع أقدام ريموند ثم صوته وهو يقول:

- جينى.

فنظرت فى لهفة وتوسل إلى جيرار، ثم قالت لأخيها:

- إننى آتية حالاً يا ريموند.

ولما انصرفت رفع الدكتور جيرار حاجبيه، وهز رأسه وقد خامره احساس بالأسف الشديد.



المــوعــد

كان ذلك الصباح هو الموعد المحدد لبدء الرحلة الى مدينة بطرا، وقد رأت سارة، حين هبطت لتستقل السيارة المأجورة المجهزة للرحلة.

سيدة فى منتصف العمر، كبيرة الأنف، سبق أن لمحتها فى الفندق. وكانت السيدة تعترض على حجم السيارة المأجورة وتقول لمندوب المكتب السياحى بلهجة إحتجاج:

– أن هذه السيارة لا توفر لنا الراحة اللازمة لرحلة طويلة، ولهذا أصر على أن نستبدل بها سيارة كبيرة مريحة.

ولما أستدارت ورأت سارة، قالت لها:

– اه.. مس سارة كنج.. إنك زميلتها فى الرحلة بهذه السيارة. ما رأيك أليست أصغر من أن توفر لنا الراحة المطلوبة إننى الليدى وستولم.

فقالت سارة بحذر:

– أعتقد أنك على حق ياليدى وستولم.

ولم يسع المندوب الشاب لمكتب السياحة إلا أن يقبل فى النهاية إحضار سيارة مأجورة أكبر حجما من تلك التى أعترضت عليها الليدى وستوليم.

وكانت هذه السيدة، الليدى وستوليم، شخصية معروفة فى الوسط السياسى بانجلترا وكان زوجها اللورد وستولم قد تزوجها أثناء عودته بالباخرة من رحلته الى أمريكا. ولما كان هو بطبيعته وأدعا مسالما بهوى الصيد بكل أنواعه، فقد قررت هى أن تحل محله فى مجلس اللوردات، وأن تقتحم الميدان السياسى أرضاء لنزعتها فى الميل الى الجدل والمناقشة والاشتراك فى المناورات السياسية التى تسقط وزارة وتقيم أخرى.

ولما أقبل الدكتور جيرار، قدمته سارة الى الليدى وستوليم التى قالت له وهى تصافحه بحرارة:

– أن أسمك ليس غريبا عنى. لقد كنت أتحدث مع البروفسور شانتو فى باريس فى الشهر الماضى، وقد تحدثنا عن بحوثك فى علم النفس ونحن نتبادل الرأى فيما ينبغى أن تفعله الحكومات المتحضرة من أجل المرضى بالأمراض النفسية.. هل ندخل الى البهو لننتظر السيارة الأخرى؟

وأقبلت فى تلك اللحظة الراكبة الرابعة، المس أميل بيرس، وكانت آنسة فى منتصف العمر، وديعة الخلق، متوسطة الجمال، مترددة فى أحاديثها.. وقد عرفت سارة فيما بعد انها كانت مربية أطفال، ولما ورثت عن عمها الراحل ثروة صغيرة، انتهزت أول فرصة للقيام برحلة خارج انجلترا.

وقالت الليدى وستولم حين جلس الركاب الأربعة فى بهو الفندق.

- إنك طبيبة يا مس كنج.. أليس كذلك؟

- نعم.. تخرجت هذا العام.

- آه.. أننا معشر النساء نغزو الآن جميع المجالات، ولست أشك فى أن آمال البشرية فى السلام والرخاء سوف تتحقق على أيدينا.

وجاءت السيارة الكبيرة ومعها المرشد المرافق، وانطلقت بهم فى رحلتها الطويلة. وعند الظهيرة، توقفت فى استراحة على ضفة البحر الميت ليتناول الركاب الغداء، ولما استؤنفت الرحلة، شعرت سارة بالندم على القيام بها. فقد خامرها إحساس عميق بالضيق والملل وهى تسمع صوت الليدى وستولم المرتفع، وغمغمة المس أمبل بيرس الخجول، وثرثرة المرشد، بل ضاقت بإبتسامة جيرار الذى كان يعرب بها عن فهمه لما يدور بنفسها.

وتساءلت فى نفسها: أين ذهب آل بونتون! لعلهم رحلوا الى سوريا.. وربما وصلوا الى بعلبك أو دمشق.. وريموند؟ ترى ماذا يفعل الآن! إنها تتخيل وجهه بوضوح.. وجهه الملهوف المتوتر الاعصاب.

آه.. لماذا تمعن التفكير فى أسرة ربما لن تراها أو تلتقى بها مرة أخرى فى حياتها. وانها لتتذكر حديثها مع المسز بونتون.. لاشك أن هناك من سمعها.. فقد كانت الليدى وستولم جالسة فى البهو عند ذاك.

كانت هذه الأفكار تشغل ذهن سارة وهى جالسة فى حديقة فندق بمدينة عمان فى اليوم التالى من بدء الرحلة.. وقد قطع عليها أفكارها

هذه الدكتور جيرار حين جاء من الخارج وجلس بجوارها قائلا وهو يمسح بمنديله العرق عن وجهه:

- بالله.. ان هذه المرأة يجب أن تموت مسممة.

- من؟.. المسز بونتون؟.

- لا.. أعنى الليدى وستولم.. إننى لا أدرى كيف استطاع زوجها أن يحتملها كل هذه السنوات!

فضحكت سارة وقالت:

- إنه يقضى معظم وقته فى الصيد والرياضة.

- لولا هذا لمات غما!.

- لا شك إنه فخور بنشاط زوجته السياسى.

- بل قولى سعيد، لان هذا النشاط يشغلها عنه!

وفيما كانت السيارة تقطع طريقا صحراويا تمتد الرمال والجبال على جانبيه الى مدى البصر، قالت المس أمبل لسارة:

- إن الأنسان ليتمنى لو رأى بعض الأشجار الظليلة هنا أو هناك، ولكننى أعتقد مع هذا أن هذا الفضاء الرحيب رائع فى ذاته. أليس كذلك يا مس كنج!

وأومأت سارة برأسها وقالت:

- نعم.. إن هذا الفضاء رائع فعلا.

ودارت أفكارها حول الفضاء.. إنه يثير الاحساس بالسكينة

والهدوء.. ليس فيه بشر يملأون النفس بالضيق والاكتئاب، ليس فيه مشاكل نابعة من علاقات الانسان بغيره. إنها الان–على الاقل تشعر بالخلاص من أسر عائلة بونتون.. تشعر بالخلاص من رغبة التدخل فى شئون أشخاص بعيدين عنها كل البعد. وأن هذا الشعور ليملأ نفسها بالسكينة والرضى.. هنا وحدة.. وعزلة، وفراغ.. وفضاء.. هنا فى الواقع سلام وصفاء.

ووصلت السيارة بهم الى قرية عين موسى حيث كان من المقرر أن يتركوها ليستأنفوا الرحلة على ظهور الجياد، ونظرت المس أمبل الى هذه الركائب فى قلق لانها لم تستعد لها بملابس الركوب. ولكن الليدى وستولم كانت تعرف سلفا إنها ستقطع الجزء الأخير من الرحلة على ظهر جواد، فاستعدت بملابس الركوب.

واقتيدت الجياد بركابها عبر القرية الى ممر صخرى وعر كانت الاحجار تتساقط على جانبيه كلما مرت عليه الجياد بحوافرها. وكانت الشمس قد مالت تماما عند خط المغيب، ولكن الجو ظل حارا خافتا، وكانت سارة لا تزال تشعر بالتعب من جلوسها فى السيارة، حتى بلغت من فرط شعورها بالارهاق حد التخدر، ومن ثم كان يخيل اليها إنها تسير فى حلم.

واضيئت المصابيح، وظلت الجياد فى مسيرها.. وفجأة انتهى الممر الى وادى فسيح، وتراجعت عنده التلال والروابى.. وعلى مسافة غير بعيدة فى الوادى، رأت مجموعة من الاضواء.

وقال المرشد:

– هذا هو المعسكر.

وأسرعت الجياد فى خطوها.. وأزدادت الاضواء اقترابا، وأصبح من الممكن رؤية الخيام المتناثرة على ضفة نهر صغير كانت أضواء المعسكر تتراقص على صفحة مائة.

واستطاعت سارة وهى تزداد اقترابا من المعسكر أن ترى الصخور المرتفعة فوق المعسكر، فتحات كهوف أعدتها سلطات المدينة لتكون غرفا للنوم لمن يكره من السياح أن ينام فى الخيام.

وسارع بعض الاعراب من عمال مكتب السياحة الى استقبال الوافدين. ولكن سارة ظلت مركزة نظراتها على باب أحد الكهوف المرتفعة، لانها رأت فيه شبحا جالسا بلا حراك.

ترى ماذا يكون؟.. أهو صنم، أم تمثال أثرى منحوت أمام باب ذلك الكهف؟

لا.. أن انعكاس الاضواء عليه جعله يبدو ضخما رهيب المنظر.. إنه ولا شك مجرد تمثال من الحجر، يطل على المعسكر فى رهبة وصمت.

وفجأة خفق قلبها بعنف حين تبينت حقيقة ذلك التمثال.. انه لم يكن تمثالا من حجر.. وانما من لحم ودم.. إنه لم يكن غير تلك المرأة العجوز البدينة المسز بونتون.

وشعرت سارة بأحساس الاسير الذى خيل اليه أنه ظفر بحريته، بينما لم يكن فى الواقع الاعائدا الى الاسر!

أن المز بونتون هناك.. فى بطرا!

وراحت سارة تجيب، آليا عن الاسئلة التى وجهها مندوب مكتب السياحة فى المدينة هل تريد أن تتناول العشاء فورا؟. هل تحب أن

تغتسل أولا؟ هل تفضل النوم فى خيمة أو فى كهف!

وأجابت عن السؤال الأخير بسرعة:

- فى خيمة!.

لأن رؤيتها لتلك المرأة الرهيبة وهى جالسة أمام باب كهف جعلها تنفر من مجرد النوم فى واحد منها.

وقالت لنفسها: «أن شيئا ما فى هذه المرأة يجعلها تبدو غير آدمية» وأخيرا تبعت أحد العمال العرب، وكان يرتدى بنطلونا خاكى اللون، وسترة خاكية، وعلى رأسه عقال. وأعجبت سارة بالخفة التى يسير بها العامل العربى، مع رفع رأسه عاليا فى كبرياء وثقة بالنفس.

وأدركت-حين دخلت خيمتها، إنها بلغت من التعب حدا كبيرا، ولكن الماء الساخن الذى أغتسلت به، خفف من شعورها بالتعب، وأعاد اليها ثقتها بنفسها، مما جعلها تخجل من فزعها حين رأت المسز بونتون.

وغادرت الخيمة، وهبطت الى حديقة الاستراحة الكبيرة حيث سمعت وراءها صوتا يقول بدهشة ولهفة:

- أنت هنا؟!

فلما أستدارت بسرعة، رأت أمامها ريموند بونتون يكاد يخرج عن طوره من فرط الدهشة الممزوجة بالسعادة.. كان كالانسان المعذب الذى رأى فجأة باب الجنة يفتح له. وأن سارة لم تنس فى حياتها كلها، بعد ذلك، هذه النظرة:

وصاح الشاب قائلا مرة أخرى:

- أنت؟!

ونفذت نبرات الصوت السعيد الملهوف الى أعماق نفسها، وجعلت قلبها يتراقص فى صدرها.. وقالت بصوت متهدج:

- نعم أنا.

وتقدم نحوها فى ذهول الذى لا يصدق عينيه وتناول يدها بين يديه فجأة وقال:

إنك أنت حقا! لقد خيل لى أنى أرى شبحك فقط. طيفك.

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا:

- إننى أحبك.. أحبك. أنت تعرفين هذا.. أحببتك منذ رأيتك أول مرة فى القطار. إننى أعرف هذا الان، وأحب أن تتأكدى منه حتى تعلمى أن تصرفاتى غير اللائقة نحوك إنما كان لها سبب خارج عن إرادتى.. بل إننى قد اكرر هذه التصرفات هنا أيضا.. قد أمر بك دون أن أحدثك أو ارد على حديث لك وكأنى لا أعرفك. إنها حين تطلب منى أن أفعل شيئا، فلابد أن أفعله. احتقرينى اذا شئت.

فقالت بصوت كله العذوبة:

- إننى لا أحتقرك يا ريموند.

- ولكنى رغم هذا انسان ضعيف.. يجب.. يجب أن أتصرف كرجل. نعم.. هذا ما ينبغى أن أفعله.

- إنك ستفعل هذا يا ريموند.

فرد قائلا فى حزن:

- أحقا.. ربما.

- إن الشجاعة لا تنقصك.. وإننى واثقة بهذا.

فشد قامته، ورفع رأسه عاليا، ثم قال بصوت حازم.

- الشجاعة! نعم.. إن هذا هو ما أحتاج اليه.. الشجاعة!

ثم إنحنى وقبل يدها، وبعد لحظة إستدار وإنصرف.

وفى حديقة الاستراحة، رأت سارة زملاء السفر الثلاثة جالسين الى مائدة يأكلون، وكان المرشد السياحى يقول لهم أن هناك، وفى المنطقة، جماعة أخرى من السياح.

- جاءوا منذ يومين.. وسيرحلون بعد غد.. إنهم أسرة أمريكية الام بدينة جدا.. وقد تحملنا مشقة بالغة فى حملها على مقعد الى هذه المنطقة.

وقالت الليدى ستولم:

- لاشك إنها تلك الاسرة الامريكية التى رأيتها فى فندق الملك سليمان. إننى لا أنسى منظر الام العجوز البدينة التى رأيتك تتحدثين اليها يا مس كنج.

واضطرم وجه سارة، وخشيت أن تكون الليدى وستولم سمعت طرفا من ذلك الحديث الشاذ.. ولكن الليدى استطردت تقول:

- إنها أسرة عادية جدا.. ومتحفظة الى أقصى حد.

وإجتمع الاربعة فى السادسة من صباح اليوم التالى على مائدة الافطار. ولم يكن ثمة أثر لاسرة بونتون فى ذلك الوقت. وبعد أن

فرغوا من الطعام، خرجوا معا للفرجة على الاماكن الاثرية. وما كادوا يبتعدون عن المعسكر حتى سمعوا شخصا يهتف بهم ويطلب منهم أن يسمحوا له بالانضمام اليهم. وكان ذلك الشخص الجديد هو المستر جيفرسون كوب الذى قال وهو يلهث:

- اذا لم يكن لديكم مانع، فإنى أحب الانضمام اليكم. طاب صباحكم يا مس كنج. إنها مفاجأة سارة أن أراك هنا يا دكتور جيرار ما رأيك فى هذا المنظر؟

وأشار الى الصخور الحمراء التى تتكون منها المنطقة الاثرية. وردت سارة قائلة:

- إن منظرها رهيب، لقد كنت أتصورها دائما على إنها «المدينة الوردية» ولكن لونها يشبه لون اللحم البقرى الاحمر.

وسار السائحون بقيادة أثنين من الادلاء العرب فى المنطقة الاثرية الوعرة، وراحوا يصعدون جبلا من الصخور الحمراء عن طريق ممرات متعرجة، شديدة الارتفاع حينا، منبسطة أحيانا. وكانت المس أمبل بيرس لا تكف عن الشكوى قائلة إنها لا تستطيع أن تنظر الى أسفل من مكان مرتفع.

وقال الدكتور جيرار للدليل محمود:

- هل تجد مشقة دائما فى قيادة بعض السائحين الكبار سنا!!

فرد محمود بابتسامة هادئة.

- نعم.. ولكنهم يصرون دائما على الصعود رغم ما ينالهم من أرهاق.

وتنهدت سارة فى إرتياح عندما وصلوا جميعا الى القمة، وكانت المنطقة الصخرية الحمراء تمتد أمامهم، وأسفلهم، فى جميع الاتجاهات، وقال لهم الدليل:

– هنا فى هذا المكان نزل على سيدنا إبراهيم الكبش الذى ضحى به بدلا من التضحية بابنه إسماعيل.

وإنفصلت سارة عن زملائها، وتجولت بعيدا عنهم بعض الشىء، وفيما هى واقفة فوق مرتفع، مستغرقة فى التفكير، اذا بالدكتور جيرار يقف بجوارها ويقول:

– إن هناك شيئا هاما يشغل بالك.

فرفعت اليه وجهها كله الحيرة وقالت:

– نعم.. إننى أفكر فى أن الموت أحيانا يكون حلا لمشكلات كثيرة.. وأن فكره الفداء لها ما يبررها.. إن التضحية بشخص قد تكون ضرورية لحياة أشخاص كثيرين.

فهز الدكتور جيرار كتفيه وقال:

– إننا معشر الأطباء لا ننظر الى الموت الا من زواية واحدة، وهى زاوية العداء.. إنه عدونا الاول.

وقبل أن تردد عليه، وصل اليها المستر كوب الامريكى، وقال:

– إن هذه المنطقة رائعة فعلا، وإنى سعيد بمشاهدتها.. ان المسز بونتون مخلوقة ممتازة لانها هى التى أصرت على الحضور لنشاهدها جميعا.. ولولا هذا لما حضرت.

واستطرد يقول مثرثرا:

- إنها سيدة طيبة القلب، ولكن صحتها ليست على ما يرام، وهذا ما يجعلها تبدو غليظة الطبع أحيانا، وأن السفر معها يضاعف المشقة، ولكنها تصر على أن تصحب أبناءها الى كل مكان، إنها من فرط رعايتها لهم، لا تحب أن تتركهم بعيدا عن عينيها.

ثم عاد وقال:

- إلا إننى سمعت شيئا عنها منذ مدة قريبة.

وكانت سارة قد عادت الى الاستغراق فى أفكارها، وكان صوت المستر كوب يصل الى أذنيها كأنه خرير جدول بعيد.. أما الدكتور جيرار، فقد قال للمستر كوب:

- وما هذا الذى سمعت؟!

- حدثتنى سيدة قابلتها فى فندق بمدينة طبرية أن خادمة كانت تعمل فى قصر المسز بونتون، ثم أكتشفت أنها حامل.. ألم تغضب المسز بونتون، وانما تحايلت على الخادمة ثم طردتها قبل أن تضع مولودها بشهر تقريباً.

ورفع الدكتور جيرار حاجبيه وقال:

- أهكذا.

- نعم.. إن السيدة التى اخبرتنى بهذا واثقة مما تقول، وإننى لاعتبر هذا التصرف غاية فى القسوة.. ولست أدرى لماذا؟

فقاطعه جيرار قائلاً:

– المؤكد أن ما حدث أسعد المسز بونتون كل السعادة.

فحملق المستر كوب فى وجهه مبهوقاً وقال:

– أترى هذا؟ أننى لا أظن.. إن هذا التصرف ينطوى على قسوة غير إنسانية اطلاقاً.

فقال الدكتور جيرار بهدوء:

– لقد قمت ببحوث عديدة عن العقل البشرى، انتهيت من هذه البحوث إلى أن العقل البشرى لا يعرف، فى حالات معينة، حدوداً للقسوة.

– أخشى أن تكون مبالغة يا دكتور جيرار، آه.. أن الهدوء هنا رائع جداً، وسارة بعيدة عنه.

وعاد جيرار ينظر إلى سارة، فرآها مستغرقة فى التفكير، مقطبة الجبين، وسمع المس اميل بيرس تقترب منه قائلة:

– إننا فى طريق العودة.. أوه.. أخشى أن أعجز عن الهبوط.. ولكن الدليل يؤكد لى أننا سنهبط من ممر آخر أقل انحداراً.

ولكن المس بيرس استطاعت، رغم مخاوفها، أن تعود مع زملائها إلى المعسكر فى موعد الغداء، وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر بقليل، وكانت أسرة بونتون قد فرغت من طعامها واستعدت لترك المائدة بحديقة الاستراحة.

وقالت الليدى وستولم للأسرة، موجهة الحديث لكارول:

– إن الصباح اليوم كان جميلاً جداً، وأن بطرا لمدينة رائعة.

ونظرت كارول إلى زوجة أبيها أولاً، ثم غمغمت قائلة:

- نعم.. نعم.. أنها حقاً كذلك.

وقالت المس امبل بيرس:

- لسوف استريح بعد الغداء، لأننى لن استطيع أن أقوم بمجهود كبير بعدما تحملته من عناء هذا الصباح.

وقالت الليدى وستولم:

- ربما افعل هذا أيضاً يا مس بيرس.. لسوف استريح نحو ساعة ثم أقوم بجولة خفيفة لمدة ساعتين.

ونهضت المسز بونتون ببطء عن مقعدها بمساعدة لينوكس، ثم وقفت وقالت لأفراد أسرتها:

- يحسن أن تقوموا جميعاً بجولة بعد ظهر اليوم لمشاهدة المنطقة.

وارتسمت الدهشة على وجوه أفراد أسرتها.. وقال لينوكس فى النهاية:

- وأنت يا أماه.. ماذا ستفعلين؟

- إننى أشعر بتعب.. وصداع.. ولهذا سوف أجلس واتسلى بقراءة كتاب.. أما جينى، فسوف تأوى إلى فراشها لتنام.

- إننى لست متعبة يا أماه.. أننى أريد أن أذهب معهم.

[illegible] وتعانين من صداع، ويجب أن تحافظى على نفسك.. أذهبى و[illegible] عرف ما ينبغى أن تفعليه.

- ولكننى.. ولكن.

وحاولت الفتاة أن تتمرد.. ولكنها لم تلبث أن احنت رأسها فى استسلام وخضوع.. وقالت الأم: ٠

- يا طفلتى الحمقاء.. أذهبى إلى خيمتك.

ومضت الفتاة غاضبة تضرب الأرض بقدميها، وانصرف بقية الموجودين والمسز بيرس تقول:

- يا لهم من أناس غريبى الأطوار.. وتلك الأم.. يا للون وجهها العجيب، أنها زرقاء اللون! لعله القلب.. ولعل الحرارة تؤذيها.

وقالت سارة لنفسها:

«لقد تركتهم أحراراً الآن.. أنها تعلم أن ريموند يريد أن ينفرد بى.. فلماذا تتيح له هذه الفرصة! هل تنصب له شركاً؟!».

* * *

وفى نحو الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، عادت سارة إلى حديقة الاستراحة حيث رأت بقية زملائها جالسين الليدى وستولم تتحدث مع الدكتور جيرار، والمس امبل بيرس تقرأ فى كتاب، وتطلع الجميع إلى الجرف العالى حيث كانت المسز بونتون جالسة أمام مدخل كهفها، ساكنة الحركة وكأنها تمثال بوذا، ولم يكن هناك على مرمى البصر أحد من موظفى السياحة غيرها.. إذ كان الجميع فى خيامهم.

وعلى مسافة أخرى، كانت ثمة جماعة يسيرون مبتعدين، وقد أشار إليهم جيرار وقال:

– للمرة الأولى تسمح الأم العطوف لأبنائها وبناتها أن يتمتعوا بالحرية بعيداً عنها.. لاشك أنه تطور جديد فى تصرفاتها.

فقالت سارة:

– أتعرف أن هذا هو نفس ما كنت أفكر فيه!

– يالنا من أناس مرتابين! هل ننضم إليهم.

وسرعان ما لحقا بأفراد أسرة بونتون، وكانت السعادة، لأول مرة، تملأ صفحات وجوههم.

كان لينوكس ونادين، وكارول وريموند والمستر كوب يضحكون ويتحدثون فى مرح لم يلبث أن شاركهم فيه جيرار، وسارة عند انضمامهما إليهم.

كان كل منهم يحاول أن يستمتع بقدر الامكان بهذه اللحظات السعيدة النادرة، وقد سارت سارة مع لينوكس وكارول فى المقدمة، وراح ريموند يتحدث مع الدكتور جيرار وراءهما، وفى النهاية سارت نادين مع المستر كوب يتبادلان الأحاديث.

سمعت سارة الدكتور جيرار، يقول بصوت خافت متوجع وهو ينوء

– معذرة أن أعود إلى المعسكر.

ورنت إليه قائلة:

– هل ألم بك شىء يا دكتور جيرار؟

– نعم.. الحمى.. لقد كنت أشعر بها تسرى فى دمى منذ ساعة

الغداء.

وفحصته سارة بنظراتها وقالت:

- ملاريا!

- نعم.. لسوف أعود إلى خيمتى لاحقن نفسى بعقار الكينين، أرجو الا تكون هذه النوبة عنيفة، لقد أصبت بها أثناء زيارتى للكونغو.

- هل آتى معك؟

- لا.. لا.. أن معى حقيبة أدواتى وعقاقيرى.. أننى لا أريد أن احرمك من متعة هذه الرياضة الآن.

وعاد مسرعاً فى الطريق إلى المعسكر.

ونظرت سارة إليه برهة، ثم التقت عيناها بعينى ريموند.. وابتسمت له.. وما لبثت أن نسيت كل شىء عن جيرار.

واستمر الجميع معاً فترة وجيزة.. لينوكس ونادين، وكارول وسارة، وريموند والمستر كوب.. ولكن سارة على نحو ما استطاعت أن تنفصل مع ريموند عنهم جميعاً، وسارت معه حتى وصلا إلى أقرب بقعة ظليلة حيث جلسا يستريحان.

وقال ريموند بعد برهة صمت:

- أتتصورين أننى لا أعرف اسمك حتى الآن؟ أعنى اسمك الذاتى يا مس كنج.

- سارة.. سارة كنج.

- هل يمكن أن أناديك بسارة فقط؟

- طبعاً.. طبعاً.

- سارة.. هل يمكنى أن تحدثينى عن نفسك؟

واعتمدت بظهرها إلى صخرة، ثم راحت تتحدث عن حياتها فى يوركشير، وعن كلابها وعن هواياتها، وعن عمتها التى قامت على تربيتها.

وبعد ذلك راح ريموند يحدثها، بعبارات متقطعة، عن حياته البائسة مع زوجة أبيه.

وأعقب هذا صمت طويل تماسكت خلاله أيديهما، وجلسا وكأنهما طفلان صغيران.. هانئان بصحبة أحدهما للآخر.

ولما بدأت الشمس تتحدر نحو المغيب، تحرك ريموند وقال:

- لسوف أعود الآن.. لا.. ليس معك، سوف أعود بمفردى، إن لدى عملاً يجب أن أقوم به.. فإذا قمت به، فسوف أثبت لنفسى أننى لست جباناً، وفى هذه الحالة لن أخجل من التقدم إليك لطلب يدك والتماس مساعدتك، لأننى سأكون فى حاجة إلى المساعدة.. وربما احتاج إلى اقتراض بعض المال.

وابتسمت سارة وقالت:

- يسعدنى أنك واقعى فى تفكيرك.. ويمكنك أن تعتمد على.

- ولكن يجب أولاً أن أقوم بهذا العمل بمفردى.

- أى عمل؟!

فارتسمت إمارات الحزم على وجه الشاب وهو يقول:

– اثبات شجاعتى.. فإما أن أفعل هذا الآن، أو أبقى عبداً إلى الأبد.

ثم وثب واقفاً واستدار ومضى مسرعاً نحو المعسكر.

وتراخت سارة إلى الصخرة، وراحت ترقبه وهو يبتعد بخطوات تنم عن العزيمة والإصرار.

وشعرت بالجزع وهى تتذكر عباراته.. لقد أحست فيها إصرار الإنسان الذى ينوى أن يقوم بعمل طائش أو متهور.. وتمنت لو أنها ذهبت معه.

وكانت الشمس فى أفق المغيب حين أشرفت سارة على المعسكر عند عودتها، وفى ضوء الغروب الخافت رأت المسز بونتون لاتزال جالسة فى مقعدها أمام كهفها، وارتعدت سارة قليلاً وهى ترى ذلك الجسم البدين الرابض كتمثال رهيب يرمز للشر والقسوة.

وأسرعت سائرة فى الممر السفلى ووصلت إلى حديقة الاستراحة حيث رأت الليدى وستولم تعمل فى اشغال الأبرة، والمس امبل بيرس مشغولة بقطعة تطريز، وعمال المكتب السياحى يروحون ويجيئون لإعداد طعام العشاء، أما آل بونتون فكانوا جالسين فى الطرف الآخر من الحديقة يقرأون.

ودخلت سارة خيمتها واغتسلت، وعند عودتها، وقفت أمام خيمة الدكتور جيرار ونادت عليه بصوت خافت، فلما لم تسمع إجابة رفعت حافة الخيمة ودخلت ورأته راقداً بلا حراك، فانسحبت مسرعة وهى ترجو أن يكون مستغرقاً فى النوم.

وأقبل نحوها أحد العمال وقال إن العشاء معد، ولما وصلت إلى

المائدة كان الجميع حولها فيما عدا الدكتور جيرار والمسز بونتون، وكان أحد العمال قد أرسل إلى السيدة العجوز ليخبرها بأن العشاء معد.

وفجأة حدثت ضجة أسرع خلالها اثنان من العرب إلى الدليل محمود، واضطرب هذا بشدة وأسرع فى طريقه إلى المسز بونتون.. ورأت سارة أن تلحق به.. وتسأله:

- ماذا حدث؟

- يقول عبده أن السيدة.. لا تتحرك.

- سآتى معك لأرى ماذا حدث.

وأسرعت سارة إلى المسز بونتون، وامسكت يدها، ثم انحنت عليها.. ثم اعتدلت وقد شحب وجهها.

ولما عادت إلى الجالسين حول المائدة، قالت بصوت مرتعد موجهة الحديث إلى لينوكس:

- يؤسفنى أن أقول لك.. إن أمكم ماتت.

وتلقى أفراد الأسرة النبأ فى ذهول من لا يصدق أذنيه.. وفجأة أخذوا يتنهدون وكأنهم لم يتلقوا نعياً، وأنما بشرى!



الموت ليس طبيعياً

رفع الكولونيل كاربرى حكمدار مدينة عمان كأسه وقال لضيفه الجالس أمامه عبر المائدة:

- فى صحة الجريمة..!

وابتسم بوارو وقال وهو يرفع كأسه:

- وفى صحة الذين يكافحونها.

وبعد أن حدث كاربرى بوارو عما حدث للمسز بونتون فى بطرا، وعن نقل جثتها إلى عمان، وعن احتمال أن تكون وفاتها ناشئة عن مشقة الرحلة وحرارة الجو مع اصابتها بمرض القلب أردف قائلاً:

- ولكننى ارتاب فى أفراد أسرتها.. لقد علمت من مختلف المصادر أنها كانت تعاملهم بقسوة.. أعنى كانت تسيطر عليهم سيطرة السجان على المسجونين.. ولهذا فإن هناك احتمالاً كبيراً فى أن أحد هؤلاء الأفراد أو جميعهم، اشتركوا فى القضاء عليها.

وقال بوارو بهدوء:

- ألم يكن فى بطرا عندئذ أحد الأطباء؟!

- كان هناك اثنان.. طبيب أمراض عصبية مشهور هو الدكتور جيرار وطبيبة حديثة التخرج هى المس كنج، ولكن الدكتور جيرار كان مريضاً بنوبة ملاريا عند وفاة المسز بونتون.

- تقول إن السيدة المتوفاة كانت مريضة.

- نعم.. بالقلب.. وكانت تتناول نقط القلب بانتظام.

- إذن ما الذى جعلك تشك فى أن موتها ليس طبيعياً؟!

- إنه الدكتور جيرار.. ويحسن أن استدعيه لتسمع أقواله بنفسك.

وبعد أن أرسل الكولونيل أحد جنوده لاستدعاء الدكتور جيرار، قال له هيركيول بوارو:

- كم عدد أفراد هذه الأسرة؟

- إنها أسرة بونتون، الأم المتوفاة، وابنان، احدهما متزوج وزوجته، وهى شابة لطيفة جميلة، وابنتان.. الصغرى منهما متوترة الأعصاب جداً.. ربما من الصدمة.

ورفع بوارو حاجبيه وقال:

- بونتون.. بونتون؟ هذا عجيب.. عجيب جداً.

ودخل الدكتور جيرار.. وقدمه الكولونيل كاربرى إلى بوارو قائلاً:

- هذا هو المسيو هيركيول بوارو.. جاء إلى عمان لمهمة خاصة، وكنت أتحدث معه عن الوفاة فى مدينة بطرا.

وبعد تناول الأحاديث عن موضوع الوفاة وارتياب الكولونيل كاربرى فى أنها غير طبيعية، قال للدكتور جيرار:

– أحب أن تخبر المسيو بوارو بما اخبرتنى به يا دكتور جيرار فى هذا الشأن.

– إن الخطأ فى جانبى.. وقد أكون واهماً فى استنتاجاتى.. ولكننى مضطر لأن أذكر ما لاحظت.. كنت أعانى من نوبة ملاريا فى ذلك الوقت، فلما عدت إلى خيمتى بحثت عن المحقن طويلاً فلم أجده، وأخيراً اضطررت إلى تناول كمية من أقراص الكينين.

وبعد برهة صمت استطرد الدكتور جيرار يقول:

– لقد اكتشفت وفاة المسز بونتون بعد غروب الشمس بقليل، وقد رجع هذا إلى طريقتها فى الجلوس.. لقد ماتت وهى جالسة.. ولم يكتشف أحد موتها إلا حين ذهب أحد العمال ليخبرها بأن طعام العشاء معد وكان ذلك فى الساعة السادسة والنصف.

وبعد أن وصف موضع الكهف وحديقة الاستراحة، أردف قائلاً:

– وقد فحصت المس كنج، الطبيبة المؤهلة، الجثة وتأكدت من الوفاة، ولكنها لم تشأ أن توقظنى من النوم لعلمها بحالتى، ولم يكن هناك ما يمكن أن تفعله بعد أن تأكدت من وفاة المسز بونتون.

فقال بوارو:

– كم من الوقت كان قد مضى على وفاتها عند اكتشاف الأمر؟

– إن المس كنج لم تهتم كثيراً بتحديد الوقت باعتبار أنه أمر ليس له أهمية خاصة.

– إذن متى كانت المسز بونتون على قيدة الحياة آخر مرة؟

فنظر الكولونيل كاربرى فى ملف أمامه، ثم قال مجيباً عن هذا السؤال:

- لقد تحدثت الليدى وستولم والمس امبل بيرس مع المسز بونتون فى نحو الساعة الرابعة والنصف، وبعد نحو خمس دقائق، تحدثت معها المسز لينوكس حديثاً طويلاً، وتبادلت كارول حديثاً عابراً مع زوجة أبيها فى وقت لم تستطع أن تحدده، ولكنه كان بأقوال الشهود يقترب من الخامسة وعشر دقائق.

واستطرد الكولونيل كاربرى قراءته من الملف قائلاً:

- وفى أثناء عودة المسز جيفرسون كوب، صديق الأسرة - مع الليدى وستولم والمس بيرس إلى المعسكر بعد جولتهما، رأى المسز بونتون من بعيد نائمة، فلم يشأ أن يزعجها، وكان ذلك فى نحو الساعة السادسة إلا ثلثا.. ويلوح أن الشاب ريموند، الابن الأصغر، كان آخر من تحدث إلى المسز بونتون وهى على قيد الحياة، إذ تحدث معها بعد عودته من جولته المسائية، وكان ذلك فى نحو السادسة إلا عشر دقائق، وقد اكتشفت الوفاة فى السادسة والنصف عندما ذهب أحد عمال المكتب السياحى ليخبرها بأن العشاء معد.

وسأله بوارو قائلاً:

- ألم يقترب منها أحد اطلاقاً بعد انصراف ريموند عنها حتى لحظة اكتشاف وفاتها؟

- لا.

- معنى هذا أن ريموند كان آخر شخص تحدث إليها وهى على قيد

الحياة؟

وتبادل الكولونيل النظرات مع الدكتور جيرار ثم قال له:

- استمر فى حديثك يا دكتور جيرار.

- إن المس كنج لم تجد أهمية لتحديد وقت الوفاة، وانما اكتفت بقولها إنها ماتت منذ «مدة وجيزة»، ولكن عندما حاولت أنا عرضاً، أن أحدد وقت وفاتها علمياً وقلت فى حديثى إن ريموند كان آخر من حدثها وهى على قيد الحياة، وكان ذلك فى السادسة إلا عشر دقائق، قالت المس كنج بحماس إن هذا لا يمكن، لأن المسز بونتون كانت ميتة قطعاً قبل السادسة إلا عشر دقائق.

فرفع بوارو حاجبيه وقال:

- عجيب.. هذا عجيب جداً.. وماذا قال ريموند فى هذا الشأن؟

فأجاب الكولونيل كاربرى:

- إنه اقسم بأن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة حين تحدث إليها، قال إنه ذهب إليها واخبرها أنه عاد من جولته، أو شىء من هذا القبيل، وانها تمتمت بكلمات قليلة مثل: «حسناً.. حسناً» ثم عاد إلى خيمته.

وقطب بوارو جبينه وقال:

- عجيب. عجيب جداً.. وهل كان الجو مظلماً بعض الشىء عندئذ؟!

- كانت الشمس قد غربت فى تلك اللحظات.

- عجيب جداً.. وأنت يا دكتور جيرار.. متى رأيت الجثة؟

– فى صباح اليوم التالى.. فى التاسعة تماماً.

– وماذا كان رأيك عن ساعة الوفاة؟

فهز الدكتور جيرار كتفيه وقال:

– من العسير أن أحدد هذه الساعة بعد مرور أكثر من اثنتى عشرة ساعة على الوفاة، وإذا طلبت للشهادة فيمكننى أن أقول إن الوفاة حدثت قبل التاسعة صباحاً فيما لا يقل عن اثنتى عشرة ساعة، وفيما لا يزيد على ثمانى عشرة ساعة، وهذا كما ترى لا يساعد فى شىء.

وقال الكولونيل كاربرى:

– حسناً يا دكتور جيرار.. اذكر للمسيو بوارو ما تعرف بعد ذلك.

– عندما استيقظت فى صباح اليوم التالى وجدت المحقن على منضدة الزينة، وراء مجموعة من الزجاجات المختلفة.

ثم انحنى إلى الأمام وأردف قائلاً:

– ربما يقول أحدكما إننى غفلت فى البحث عن المحقن فى هذا المكان، ولكننى أؤكد لكما أن المحقن لم يكن موجوداً فى ذلك الموضع حيث بحثت عنه فى المساء السابق.. أنا واثق بهذا رغم حالة الحمى التى كنت أعانيها.

وقال الكولونيل كاربرى:

– وهناك شىء آخر يا دكتور.

– نعم.. هناك حقيقتان لهما اهميتهما، لقد لاحظت وجود علامة على معصم يد المسز بونتون، تشبه العلامة التى تحدثها وخزة أبرة

المحقن، وقد فسرت ابنتها كارول وجود هذه العلامة قائلة إنها حدثت من وخزة دبوس.

- حسناً.. والحقيقة الثانية!

- عندما فحصت محتويات حقيبة الأدوية والعقاقير، وجدت أن كمية كبيرة من عقار الديجيتوكسين ناقصة من الزجاجة.

- الديجيتوكسين؟ إنه سم للقلب أليس كذلك؟!

- نعم.. أنه أحد مستحضرات عقار الديجيتالا.. وهناك أربعة مستحضرات من هذا العقار.. الديجيتالين، والديجيتونين، والديجيتالين، والديجيتوكسين.. وهذا المستحضر الأخير هو أشدها ضراوة على القلب، وطبقاً لبحوث الدكتور كوبس، فإنه أشد تأثيراً على القلب بنسبة ستة إلى ثمانية أمثال المستحضرات الأخرى.

- وما هو تأثير جرعة كبيرة منه؟

- إن جرعة كبيرة من الديجيتوكسين إذا حقنت فى الدم، فإنها تؤدى إلى الوفاة الفجائية بالسكتة القلبية، والمعروف أن أربعة ملليجرامات منه كفيلة لقتل الإنسان البالغ.

وقال بوارو:

- وكانت المسز بونتون تعانى قبل موتها من مرض القلب.

- نعم.. وكانت تتناول دواء يحتوى على نسبة قليلة من الديجيتالين.

- هل تعنى أن وفاتها حدثت بسبب جرعة كبيرة من هذا العقار؟

- بل إننى أعنى أكثر من هذا.

وقال الدكتور جيرار:

- إن الديجيتالين إذا أحدث الوفاة لا يترك أثراً يدل عليه عند تشريح الجثة ما دام المريض قد اعتاد أن يعالج به.

فأومأ بوارو برأسه وقال:

- نعم.. هذه براعة.. براعة كاملة، ولن يستطيع أحد عند المحاكمة أن يثبت أن فى الأمر جريمة وهذا يعنى أن المجرم، إذ كانت هناك جريمة حقاً، له عقلية بارعة.. عقلية حادة الذكاء.. عقلية جعلت صاحبها يعرف كيف يضع خطة محكمة ثم ينفذها بدقة بالغة.

ثم صمت برهة وقال:

- ولكن شيئاً واحداً يحيرنى.

- ما هو؟

- سرقة المحقن.

فقال جيرار:

- إنه أخذ من مكانه.

- أخذ وأعيد.

- نعم.

- إن هذا ما يحيرنى.

ونظر إليه الكولونيل كاربرى فى دهشة وقال:

- هه.. ما رأيك.. هل فى الأمر جريمة؟

– إننا لن نصل بعد إلى مرحلة الإجابة عن هذا السؤال.. لأن لدى أنا هيركيول بوارو، دليلاً يجب أن أذكره بشأن هذا الحادث.

– لديك أنت؟

فابتسم فى وجهيهما المدهوشين وقال:

– نعم.. لدى أنا.. ففى ذات ليلة وأنا فى فندق الملك سليمان، كنت على وشك اغلاق نافذة غرفتى عندما سمعت شخصاً ما يقول هذه العبارة بصوت عصبى «ولهذا كله يجب أن تقتل» ولم اهتم بما سمعت على أساس أنها عبارة يقرأها أحد فى رواية أو فى مسرحية، أما الآن فإنى واثق بأن الأمر كان أكثر جدية مما حسبت.

وصمت برهة قبل أن يقول:

– لقد تبينت بعد ذلك أن قائل هذه العبارة شاب رأيته أمام مصعد الفندق، فى البهو.. وهذا الشاب حين سألت عنه يدعى ريموند بونتون.

وهتف الدكتور جيرار قائلاً:

– ريموند بونتون!!

– نعم.

وبعد برهة صمت قال الكولونيل كاربرى:

– والآن.. ماذا يمكننا أن نفعل؟

فهز جيرار كتفيه وقال:

– لا شىء.. أن من العسير اثبات التهمة على ريموند حتى لو كان هو القاتل.

فقال بوارو:

- هل يعنى هذا أن نترك الأمر عند هذا الحد؟!

فقال جيرار ببطء:

- لقد كانت المتوفاة امرأة شريرة.. وكان من المرجح أن تموت بداء القلب فى خلا شهر أو شهرين على الأكثر وأن موت هذه المرأة قد حرر من رقبة الأسر أشخاصاً صالحين للحياة فى المجتمع.

فقال بوارو:

- يعنى أنك راض عن هذا الوضع؟!

وفجأة ضرب جيرار المائدة بيده وقال:

- لا.. أننى كطبيب لا يمكن أن أرضى عن وضع كهذا مهما كانت نتائجة الطيبة، أننا معشر الأطباء نعيش للمحافظة على حياة الآخرين بصرف النظر عن سلوكهم وأخلاقهم، أنى عاطفياً قد أقبل هذا الوضع، أما عقلياً فإننى لا أرضى اطلاقاً أن يموت إنسان قبل أجله المحدد.

وابتسم بوارو فى صمت وقال كاربرى:

- إننى مثلك لا أحب جرائم القتل مهما كانت مبرراتها.. والآن.. ما رأيك يا مسيو بوارو فى هذه الحالة.

فقال بوارو ببطء:

- إنك يا كولونيل كاربرى، تريد أن تعرف من قتل المسز بونتون إن كانت قد قتلت حقاً.. وتريد أن تعرف كيف ومتى وقعت الجريمة أليس

كذلك؟!

- نعم.. طبعاً.

- وهذا من حقك بطبيعة الحال.

- وهل فى مقدورك أن تكشف غموض هذه الجريمة يا مسيو بوارو؟

فقال بوارو بلا تردد:

- نعم.. بكل تأكيد.. ولكن علينا أولاً أن نقرر.. هل اشترك أفراد الأسرة جميعاً فى هذه الجريمة أم أن الذى ارتكبها فرد واحد؟

فقال جيرار:

- إن ما سمعته أنت من ريموند يحصر الجريمة فى نطاقه هو.

- نعم.. لاسيما وأنه كان آخر من تحدث إلى زوجة أبيه قبل موتها.

- ولكن المس كنج ترفض هذا الدليل.

فابتسم بوارو وقال:

- اخبرنى يا دكتور جيرار.. هل هناك.. صلة عاطفية معينة بين ريموند ومس كنج؟!

- نعم.

- وهل المس كنج هى الشابة ذات الشعر الكستنائى والعينين العسليتين الواسعتين والشخصية القوية المرتسمة على وجهها!

- نعم.. أنها هى.

- لقد رأيت ريموند عند المصعد فى فندق الملك سليمان يحملق فيها

مبهوتاً وكأنه يرى ملاكاً هابطاً عليه من السماء، ولكن اخبرنى يا دكتور جيرار هل تعتقد أن ريموند من الطراز الذى يمكن أن يرتكب ببساطة جريمة كهذه.

فقال جيرار ببطء:

- نعم.. فى حالة اضطراب وتوتر عصبى شديد.

- وهل هذه الحالة قائمة؟

- نعم.. أن هذه الرحلة جعلت أفراد الأسرة يشعرون بالفارق الكبير بين حياتهم السجينة فى القصر وبين الحياة الرحيبة فى العالم الواسع، ولاشك أن حب ريموند لسارة قد ضاعف من شعوره بوجوب التخلص من المرأة التى تسجنهم.

وقال كاربرى كأنما تذكر شيئاً:

- وبهذه المناسبة يا مسيو بوارو.. ان العبارة التى سمعتها من ريموند كان يقولها لشخص ما.. أليس كذلك؟

- نعم.. نعم.. طبعاً.. ولاشك أنه كان يتحدث إلى أحد أفراد الأسرة، ولكن من هو هذا الفرد.. أو من هى.. هل يمكن يا دكتور جيرار أن تذكر لى حالة أحد أفراد الأسرة تشبه الحالة التى كان عليها ريموند؟

- نعم.. أنها اخته كارول، أما لينوكس فكان قد بلغ حالة من اليأس والرضوخ للأمر الواقع بحيث لم يكن يهمه أن يتمرد عليه.

- وزوجته؟

- أنها رغم شعورها بالحزن واليأس والشقاء، إلا أنها لم تكن تعانى

من الصراع العقلى.. والواقع أنها كانت تفكر جدياً فى الانفصال عن لينوكس.

ثم ذكر له الحديث الذى جرى بينه وبين جيفرسون كوب.. وأومأ بوارو برأسه وقال:

– وماذا عن الابنة الصغرى؟

– اعتقد أنها فى حالة خطيرة من الناحية العقلية، لقد بدت عليها أعراض الانفصام العقلى واصبحت تعتقد أنها شخصية خيالية، أن الكبت الذى تعانيه جعلها تهرب من الواقع إلى الخيال، لقد اخبرتنى أنها من أسرة مالكة وأن الأعداء يحيطون بها ليقتلوها.

– وهذا يجعلها خطراً على الغير؟

– نعم.. أن المريض بهذا المرض يلجأ أحياناً إلى القتل.. انه يقتل دفاعاً عن نفسه.. يقتل حتى لا يدع أحداً يقتله.

– إذن فمن رأيك أن جنيفرا قد تكون مرتكبة الجريمة؟!

– نعم.. ولكننى أظن أنها غير قادرة على تدبير أية جريمة بمثل هذا الاحكام، أن المريض بالانفصام العقلى يقتل بوسيلة بسيطة وبلا تدبير محكم.

– ولكن هناك احتمالاً فى أنها قد تكون القاتلة!

– نعم.

– وهل تعتقد أن أفراد الأسرة يعرفون من هو القاتل؟

فقال كاربرى:

– الا ترى أنها زوبعة فى فنجان؟ أم لعل تفكيرك الدائم فى الجريمة والمجرمين جعلك ترتاب فى..

فقاطعها بوارو قائلاً:

– من الطبيعى أن ارتاب فى وقوع جريمة كلما كان هناك ما يبرر هذا الارتياب.

– وهل هناك ما يبرر ارتيابك فى هذا الموضوع؟

– وهل أنت تعتقدين أن الوفاة طبيعية يا مس كنج؟

فصمتت لحظة ثم قالت:

– لو أنك ذهبت إلى بطرا يا مسيو بوارو لادركت مدى المشقة التى يعانيها المسافر إليها.. ولاشك أن هذه المشقة يتضاعف تأثيرها على امرأة عجوز مريضة بالقلب.

– هل يعنى هذا أن الأمر طبيعى من وجهة نظرك كطبيبة؟

– نعم.. وأنا لا أدرى سر موقف الدكتور جيرار من الأمر.. لقد كان راقداً بالملاريا حين ماتت المسز بونتون.. وأنا اعترف أنه أكثر خبرة ودراية بالطب منى، ولكن ليس هناك الأساس الذى يستطيع به أن يثبت خطأى فى تحديد وقت الوفاة، وأن فى القدس أطباء شرعيين يمكنهم أن يتأكدوا من صحة قرارى إذا عرضتم الأمر عليهم.

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول:

– إذن فأنت لا تعرفين بعض الحقائق المعينة، أن الدكتور جيرار لم يخبرك.

- إننى لا أشك فى هذا .. أن كل شىء فى تصرفاتهم يدل على أنهم يعلمون شيئاً مشتركاً.

فقال بوارو:

- لسوف نجعلهم يخبروننا بكل ما يعرفون.

فرد كاربرى قائلاً:

- ولكن عليك أن تنتهى من هذا الأمر بسرعة، لأننا لا نستطيع أن نحجزهم هنا مدة غير محددة.

فقال بوارو بهدوء:

- لسوف تعرف الحقائق كلها غداً مساء.

فحملق كاربرى فى وجهه وقال:

- أنك واثق بنفسك جداً.. أليس كذلك؟

- لأننى هيركيول بوارو يا صديقى.

وابتسم كاربرى وقال:

- إذا نجحت فى هذا، فسوف اعترف بأنك معجزة فى البحوث الجنائية.

ألقت سارة كنج نظرات فاحصة على هيركيول بوارو، بينما قال هو:

- إننا نريد أن نعرف الحقيقة عن هذا الموضوع.

- تعنى موضوع وفاة المسز بونتون؟

- نعم.

- أية حقائق تعنى؟

- لقد سرقت كمية من عقار الديجيتوكسين من حقيبة أدوية الدكتور جيرار.

وأسرعت سارة وقد ادركت معنى هذا التطور الجديد فى الموضوع!

- أوه! هل الدكتور جيرار واثق من هذا؟

- إن الأطباء عادة كما تعلمين، لا يلقون بأقوالهم جزافاً.

- نعم.. نعم.. ولكن هل لدية أية فكرة عن الشخص الذى أخذ هذا العقار أو عن الوقت الذى أخذ فيه؟!

- أنه طبعاً لا يعرف من الذى أخذ العقار.. ولكنه واثق تماماً بأن جميع علب وزجاجات الأدوية كانت تامة عندما فتح الحقيبة ليلة وصوله إلى بطرا ليأخذ بعد الاسبرين.

وصمت بوارو فترة قبل أن يردف قائلاً:

- ما رأيك فى هذا الدليل؟

- أنه فى رأيى دليل ضعيف.

- كأنك تنصحيننى بعدم القيام بأية تحركات أخرى فى هذا الشأن.

- اعتقد أن أفراد آل بونتون تعذبوا فى حياة الأم كثيراً، وليس من الإنسانية أن نزيد عذابهم بكل هذه الشكوك والإجراءات.

فابتسم بوارو قائلاً:

- أها.. كأنك ترين أن موت هذه الطاغية القاسية خير من استمرار

بقائها على قيد الحياة.

فاضطرم وجه سارة.. وقالت:

- إننى لا استطيع الإجابة عن سؤال شاذ كهذا.

- أياً كان أمر الضحية يا مس كنج.. سواء أكانت ملاكاً أم شيطاناً، فإننى لا أوافق على أن تقتل بيد فرد أو أفراد ليست لهم سلطة المحاكمة القانونية.

- تقتل..؟ ما هى الأدلة على هذا؟ إن الدكتور جيرار قد يكون مخطئاً فى تقديره عن العقار.. لاسيما وقد كان يعانى من حمى الملاريا.

- ولكن هناك دليلاً أقوى يا مس كنج.

- أى دليل هذا؟

- علامة وخزة محقن على معصم المسز بونتون، وعبارة سمعتها فى ليلة وصولى إلى فندق الملك سليمان بالقدس.. سمعتها وأنا اغلق نافذة غرفتى.. وكانت الكلمات واضحة تماماً.. هل تحبين أن تسمعيها يا مس كنج: حسنا.. أنها «لهذا كله يجب أن تقتل» وكان قائلها ريموند بونتون.

ورأى وجه سارة يمتقع بشدة وهى تقول:

- هل سمعت هذا؟

- نعم.

- عجباً! ألا تراها مصادفة نادرة؟

- إذن ما استنتاجك؟

- أنها كانت تلعب بهم لعبة القط بالجرذان.

- ماذا تعنين يا مس كنج؟

- إن القطة تستمتع برؤية الجرذ حين يحاول الهرب منها.. وهى لهذا تطلقه قليلاً لتوهمه بأنه حر، ثم تنقض عليه.. وفى رأيى أن المسز بونتون لها نفس هذه العقلية، ولهذا كانت واثقة من أنها ارادت أن تحقق هدفاً معيناً حين سمحت لهم بالتجول بعيداً عنها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- لقد بدأ أفراد أسرة بونتون تجوالهم.

- جميعاً؟

- لا.. لقد تخلفت الابنة الصغرى جنيفرا لأن أمها امرتها بأن تأوى إلى فراشها لأنها متعبة.

- وهل كانت ترغب فى أن تأوى إلى فراشها؟

- لا.. ولكن هذا لا يهم فما دامت الأم قد أمرت بذلك، فلابد أن تطيع الابنة.. وسار الباقون فى الطريق إلى النزهة.. وقد لحقنا بهم الدكتور جيرار وأنا.

- متى كان هذا؟

- فى نحو الثالثة والنصف بعد الظهر.

- وأين كانت المسز بونتون عندئذ؟

- إن الحياة مجموعة من مصادفات يا مس كنج!

- نعم.. نعم.

- هل تساعدينني؟!

- بكل تأكيد.

- شكراً يا مس كنج.. والآن.. أريد أن أسمع منك شخصياً كل ما حدث في ذلك اليوم الذي ماتت فيه المسز بونتون.

وفكرت سارة برهة ثم قالت:

- ذهبنا في جولة صباحاً ولم يكن معنا أحد من آل بونتون، ولكنني رأيتهم في ساعة الغداء بحديقة الاستراحة، وكانت المسز بونتون في حالة معنوية طيبة على غير العادة.

- معنى هذا أنها لم تكن كذلك في معظم الأحوال.

- بالعكس.. كانت دائماً متجهمة الوجه، ضيقة الصدر.

ثم راحت تصف معاملة المسز بونتون لأفراد أسرتها.. وقد علق بوارو على هذا بقوله:

- وكان هذا التصرف في رأيك غير طبيعي.

- نعم.. إنها كانت تسجنهم حولها دائماً.

- هل تعتقدين إذن أن حالتها المعنوية الطيبة في ذلك الوقت هي التي دفعتها إلى اطلاق سراحهم بعض ساعات؟

- لا.

– كانت نادين زوجة لينوكس قد عاونتها على الجلوس فى مقعدها أمام الكهف.

– استمرى فى الحديث.

– بعد ان انعطفنا فى الممر وسرنا مسافة قصيرة، شعر الدكتور جيرار باشتداد أعراض الحمى، فقرر العودة، وكانت أعراض الحمى واضحة عليه مما جعلنى أقترح العودة معه لاساعده ولكنه رفض.

– ومتى كان هذا؟

– فى نحو الرابعة.

– والباقون؟

– استأنفوا التجوال وكنا معاً جميعاً، ثم انقسمنا.. سارت نادين مع المستر كوب، وبقيت كارول مع لينوكس ومضيت أنا مع ريموند.

– وأين ذهبت مع ريموند؟

– جلسنا فى ظل شجرة وأخذنا نتأمل كل المناظر الطبيعية التاريخية وبعدها انصرف ريموند وبقيت أنا برهة.. وكانت الساعة الخامسة والنصف حين رأيت أن الوقت قد حان لعودتى إلى المعسكر.. وقد وصلت إليه فى السادسة عند غروب الشمس.

– هل مررت بالمسز بونتون فى طريق العودة؟

– لاحظت أنها لاتزال جالسة فى مقعدها أمام باب الكهف.

– ألم تلاحظى شيئاً غريب عليها؟

– لا.. لأننى رأيتها جالسة على هذا النحو فى ليلة وصولنا إلى

بطرا.

- حسنا.. وبعد ذلك؟

- ذهبت إلى حديقة الاستراحة، وكان الجميع بها فيما عدا الدكتور جيرار، ودخلت خيمتى حيث اغتسلت، ولما عدت إليهم كان العشاء قد أعد وذهب أحد العمال ليخبر المسز بونتون، ولكنه عاد مسرعاً قائلاً إنها مريضة جداً، ولكننى حين اسرعت إليها وفحصتها وجدتها ميتة تماماً.

- ولم يخامرك أى شك فى أنها ماتت ميتة طبيعية؟

- نعم.. لأنى سمعت أنها كانت تعانى من مرض القلب.

- هل ظننت ببساطة أنها ماتت بالسكتة القلبية.. وهى جالسة.

- نعم.

- هل استطعت ان تعرفى كم مضى عليها وهى ميتة؟

- لم أفكر فى هذا عندئذ.. وكل ما عرفته أنها كانت ميتة منذ مدة تزيد على ساعة.. وربما أكثر.. لأن انعكاس الحرارة على الصخور يجعل الجثة تبطىء فى البرودة.

- عجباً يا مس كنج!! ألا تعرفين أن ريموند قال إنه تحدث معها قبل اكتشاف موتها بنصف ساعة!

فهزت رأسها وأشاحت بعينيها عن عينيه وقالت:

- لاشك أنه اخطأ فى تحديد الوقت.

- لا يا مس كنج.. أنه لا يمكن أن يخطىء فى أكثر من نصف ساعة.

فزمت سارة شفتيها برهة ثم قالت:

- رغم إننى حديثة التخرج فى كلية الطب، إلا أن دراستى تجعلنى واثقة بأقوالى.. أن المسز بونتون كانت ميتة قبل ساعة على الأقل حين فحصت جثتها.

فقال بوارو فجأة:

- كم مرة تحدثت إلى أفراد أسرة بونتون يا مسز كنج؟

وفكرت سارة برهة ثم قالت:

- لا أعرف على وجه التحديد.. لقد تحدثت مع ريموند فى القطار الذاهب إلى القدس وتحدثت مع كارول مرتين: مرة فى مسجد عمر، والثانية فى ساعة متأخرة بغرفتى.. وتحدثت مع نادين فى الصباح التالى، هذه هى المرات التى تحدثت فيها مع أفراد الأسرة حتى ما بعد ظهر اليوم الذى ذهبنا فيه جميعاً للنزهة فى جبال بطرا.

- ألم تتحدثى مع المسز بونتون اطلاقاً؟

ولم يسع سارة إلا أن تذكر له حديثها فى بهو الفندق مع المسز بونتون، وقد اختتمته قائلة:

- واعتقد أننى كنت حمقاء فى حديثى هذا.

- حسنا يا مس كنج وشكراً.. سوف أسمع الآن أقوال الآخرين.

ونهضت سارة كنج لتتصرف، ولكنها توقفت فجأة ثم نظرت إلى بوارو فى تردد وأخيراً قالت:

- معذرة يا مسيو بوارو.. هل يمكن أن اقترح شيئاً.

– طبعاً .. طبعاً .. بكل تأكيد.

– لماذا لا تؤجل هذه التحقيقات كلها حتى تعرف نتيجة التشريح وتتأكد من أن شكوكك تقوم على أساس سليم؟!

فقال بوارو بكل جرأة:

– هذه هى طريقة هيركيول بوارو فى الكشف عن الجرائم الغامضة.

وكادت سارة ان تقول له عن رأيها فى غروره، ولكنها زمت شفتيها وانصرفت.



تجميع الخيوط

دخلت الليدى وستولم الغرفة بثبات عابرة المحيطات، وكانت المس امبل بيرس ترفرف وراءها مثل مقطورة لا يمكنها السير بمفردها.

وقالت الليدى وستولم بصوتها المرتفع:

– يسرنى يا مسيو بوارو أن أقدم لكم أية خدمة لتحقيق العدالة أننى أضع نفسى دائماً فى خدمة المجتمع الإنسانى.

وبعد أن فرغت من حديثها الطويل عن واجب الإنسان نحو المجتمع الإنسانى قال لها بوارو:

– ارجوك أن تذكرى لنا ماذا فعلت أو رأيت بعد ظهر يوم الوفاة.

– نعم.. نعم.. بكل تأكيد.. لقد قررنا – أنا والمس بيرس – أن نستريح قليلاً بعد طعام الغداء فى خيمتينا.

– وهل كانت المسز بونتون جالسة أمام كهفها!

– نعم.. لقد ساعدتها زوجة ابنها على الجلوس أمام الكهف قبل أن تمضى فى جولتها.

- هل كان فى مقدورك أن تريها بوضوح؟

- نعم.. أن الجرف الذى تقوم فيه كهوف النوم كان يرتفع قليلاً عن حديقة الاستراحة، ويبعد عن خيامنا بنحو مائتى ياردة.

وبسط بوارو أمامه خريطة المعسكر وقال:

- طبقاً لهذه الخريطة أقول إن كهف لينوكس بونتون وزوجته كان يقع بجوار كهف المسز بونتون مباشرة، أما كارول وريموند وجنيفرا فقد كانت لهم خيام تقع تحت جرف الكهف مباشرة، وتواجه حديقة الاستراحة فى الناحية المقابلة لخيامكم.. أليس كذلك؟

- نعم.

- وعلى اليمين قليلاً من خيمة جنيفرا، كانت تقع خيمة الدكتور جيرار وبعدها خيمة المس كنج، أما فى الجهة المقابلة للحديقة فكانت تقع خيمتك ياالليدى وستولم، ثم خيمة المس بيرس وبينهما سور حديقة الاستراحة ثم خيمة المستر كوب صديق أسرة بونتون.

ولما اومأت الليدى وستولم برأسها موافقة، قال بوارو:

- حسنا يا سيدتى.. ارجو أن تستمرى فى الحديث.

- فى نحو الرابعة إلا ربعاً خرجت إلى خيمة المس امبل بيرس لأسألها إن كانت تريد أن تتمشى معى قليلاً، وكانت جالسة أمام باب خيمتها تقرأ، واتفقنا على أن نتمشى قليلاً بعد نصف ساعة - أى عندما تخف حرارة الشمس بعض الشىء - وعدت إلى خيمتى لاقرأ، وبعد نصف ساعة صحبت المس بيرس إلى النزهة، وكان جميع من فى المعسكر نائمين كما بدا لى فيما عدا المسز بونتون التى كانت جالسة

فى مقعدها أمام باب كهفها، وقد اقترحت على المس بيرس أن تمضى وتسألها إن كانت تريد شيئاً قبل أن نغادر المكان.

فغمغم بوارو قائلاً:

فغمغم بوارو قائلاً:

- نعم.. أن هذا يدل على مدى ايمانك بالواجب!

- شكراً.. ولكن تصور ماذا كان جزاؤنا؟ لقد هتفت عليها ونحن نمر تحت الجرف اسألها إن كانت تريد شيئاً قبل أن نمضى، فإذا بها تنظر إلينا كأننا حشرات ولا ترد علينا بأكثر من غمغمة.

وقالت المس بيرس بوجه مضطرم:

- شىء مخجل!

وقالت الليدى وستولم:

- إننى اعترف أنى قلت للمس بيرس عندئذ أن المسز بونتون ربما كانت مخمورة.. لأن موقفها منا كان غريباً جداً.

فقال لها بوارو:

كان موقفها غريباً طيلة ذلك اليوم.. فى وقت الغداء مثلاً؟

ففكر ... وستولم برهة ثم قالت:

- لا.. لا ... بل كانت تصرفاتها عندئذ طبيعية جداً.

ولكن المس بيرس قالت:

- لا تنسى أنها كانت غليظة فى معاملتها لذلك العامل العربى.

– متى؟

– قبل أن نتمشى بمدة غير قصيرة.

– آه.. تذكرت.. لقد كانت ثائرة ووجهت إليه ألفاظاً قاسية ولكن الرجل لم يفهم شيئاً طبعاً.. على أن الإنسان عندما يكون مجهداً بسبب السفر قد تتوتر أعصابه من أقل شئ.

– ومن هو ذلك العامل؟

– أحد عمال مكتب السياحة.. واعتقد أنها طلبت منه أن يأتيها بشئ معين، فجاءها بشئ آخر.. والواقع أنها كانت شديدة العنف معه حتى لقد تراجع عنها فى خوف وانطلق بعيداً.. وقد لوحت وراءه بعصاها وهتفت عليه.

– ماذا قالت له؟

– لا أعرف، لأننا كنا بعيدين عنها فى ذلك الوقت.. أليس كذلك يا مس بيرس.

فقالت المس بيرس وقد اضطرم وجهها مرة أخرى.

– نعم.. نعم.. ويبدو أنها ارسلته ليأتى لها بشئ من خيمة ابنتها جنيفرا، فلم ينجح، أو لعلها رأته خارجاً من خيمة جنيفرا دون سبب واضح.

فقال بوارو:

– وما شكل هذا العامل؟

– إنه رجل طويل يرتدى عقالاً وسترة وبنطلونا لونهما كاكى.. وكان

بنطلونه ممزقاً وحزام الساق «القلشين» غير محكم على ساقيه.

- هل يمكنك أن تتعرفى عليه من بين عمال المكتب السياحى؟

- لا أظن.. لأننا لم نر وجهه، كما أن هؤلاء الناس يشبهون بعضهم البعض.

وبعد برهة قال بوارو:

- حسناً.. يمكننا أن نتعرف على هذا العامل لنعرف منه لماذا غضبت المسز بونتون عليه.. والآن.. استمرى فى الحديث يا لليدى وستولم.

فقالت الليدى وستولم:

- بعد أن سرنا قليلاً، التقينا بالدكتور جيرار يعود مترنحاً شاحب الوجه بادى المرض كان واضحاً عليه أنه محموم بالملاريا، وقد عرضت عليه أن أذهب معه إلى خميته وأحضر له بعض الكينين، ولكنه رفض قائلاً إن لديه حاجته من الكينين فى الخيمة.

واستأنفنا السير حتى وصلنا إلى صخرة ظليلة فجلسنا نستريح.

- هل كنتما فى تلك البقعة بعيدين عن مرمى البصر من المعسكر؟

- لا.. كنا جالسين فى مواجهته.

- هل كان فى مقدورك أن ترى أحداً من أفراد أسرة بونتون؟

- نعم.. رأينا الابن الأكبر وزوجته وهما فى طريق العودة إلى المعـ..

- هل د ـ ..

- لا.. لقد مر المستر بونتون أولاً.. وكان يبدو كالمريض بضربة شمس لأنه كان يسير فى حالة ذهول.

- وماذا فعل عندما عاد إلى المعسكر؟

- ذهب فوراً إلى أمه ولكنه لم يمكث معها إلا فترة وجيزة.

- ما هى المدة التى مكثها على وجه التحديد؟

- دقيقة أو دقيقتين.. ثم ذهب إلى كهفه وبعد ذلك هبط إلى حديقة الاستراحة.

- وماذا عن زوجته؟

- إنها شابة لطيفة معقولة.

- هل راقبتها وهى تعود إلى المعسكر؟

- نعم.. لقد ذهبت إلى حماتها وتحدثت معها قليلاً ثم دخلت كهفها واستحضرت مقعداً وجلست بجوار حماتها تتحدث معها مدة.. نحو عشر دقائق.

- وبعد ذلك؟

- اعادت المقعد إلى الكهف وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث جلس زوجها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- جاء ذلك الأمريكى صديق الأسرة.. اظن اسمه كوب واخبرنا أنه شاهد مكاناً أثرياً جميلاً، فذهبنا معه وشاهدنا البقعة الأثرية ثم عدنا إلى المعسكر وكانت الساعة قد بلغت السادسة إلا ثلثا، وكانت البرودة

قد بدأت تشيع فى الجو.

– وهل كانت المسز بونتون فى مكانها كما تركتموها؟

– نعم.

– هل تحدث أحد منكم إليها؟

فقالت الليدى وستولم:

– لا.. وإذا شئت الحقيقة فإنى لم أنظر ناحيتها بعد أن لاحظت وجودها من بعيد.

– وماذا فعلت بعد ذلك؟

– دخلت خيمتى وغيرت ملابسى، وعدت إلى حديقة الاستراحة حيث شربت الشاى مع المس امبل بيرس.. وأخبرنا المرشد العربى أن العشاء سيكون معداً بعد نصف ساعة، وكان مساعدوه يعدون المائدة.

فقال بوارو:

– هل كان هناك أحد فى حديقة الاستراحة؟

– أوه.. نعم.. المستر والمسز لينوكس بونتون، كانا جالسين فى طرف من المائدة، وكارول كانت هناك أيضاً.

– والمستر كوب؟

– اشترك معنا فى شرب الشاى.

– وبعد ذلك؟

– أذكر أن ريموند بونتون جاء من نزهته ثم أقبل على مائدة العشاء،

واقبلت بعده اخته الصغرى ذات الشعر الذهبى، أما المس كنج فكانت آخر من حضر إلى المائدة، ثم أرسل المرشد أحد العمال ليخبر المسز بونتون أن العشاء معد.. ولكن العامل عاد مسرعاً فى حالة اضطراب، وسمعنا أن المسز بونتون اصيبت بمرض، وعرضت المس كنج خدماتها، ولكنها قالت بعد أن ذهبت إلى المسز بونتون أنها ميتة تماماً.

- وكيف تلقى أفراد الأسرة هذا الخبر؟

- الواقع أن من العسير أن يعرف المرء حقيقة مشاعرهم.. لقد تلقوا الخبر فى هدوء تام وذهبوا جميعاً مع المس كنج.. ولكننى بقيت مع المس بيرس حتى لا نبدو متطفلين.. وأخيراً عاد المرشد مع المس كنج، واقترحت أن نتناول نحن العشاء على أن يتناوله أفراد أسرة بونتون فيما بعد، ووافق الباقون على هذا الاقتراح، وبعد أن فرغنا من الطعام، أويت إلى خيمتى، وكذلك فعلت المس بيرس والمس كنج، أما المستر كوب فقد جلس فى حديقة الاستراحة ليكون تحت أمر أسرة بونتون إذا احتاجوا إليه.. هذا كل ما أعرف يا مسيو بوارو.

وسألها بوارو قائلاً:

- عندما القت المس كنج بالنباء إلى أفراد الأسرة، هل ذهبوا معها جميعاً؟

- نعم.. لا.. أذكر لأن أن الابنة الصغرى ذات الشعر الذهبى بقيت فى حديقة الاستراحة.. أليس كذلك يا مس بيرس؟

- نعم.. تماماً.

- وماذا فعلت هذه الابنة الصغرى يا ليدى وستولم!

- ماذا فعلت؟ إنها لم تفعل شيئاً!

- أعنى ألم تكن تقرأ أو تشغل نفسها بشىء ما.

فقالت المس بيرس فجأة:

- كانت تدير ابهامها دون أن تتحرك من مكانها.

- سؤال واحد أخير يا ليدى وستولم.. أرجو أن تستديرى بوجهك عن المس بيرس.. آه.. حسناً.. والآن هل يمكن أن تصغى لى ماذا ترتدى المس بيرس اليوم؟

فهزت الليدى وستولم كتفيها وقالت:

- هل تريد أن تختبر قوة ملاحظتى؟ حسناً.. أن المس بيرس ترتدى ثوباً من القطن مخططاً باللونين الأبيض والبنى مع حزام سودانى أحمر، مطرز باللونين الأزرق والبيج، وترتدى جوارب حريرية لونها بيج، وحذاء بنياً من الجلد الاجلاسيه، وهناك رتق فى الجورب الأيسر، وتضع حول عنقها عقداً من حبات لونها أزرق، كما تتزين بسوار عليه نقش فراشة، وفى أصبع يدها اليمنى الأوسط خاتم له فص من الماس المقلد، وعلى رأسها قبعة من الفلين ذات لونين أزرق وبنى.

وبعد برهة صمت قالت:

- هل هناك شىء آخر يا مسيو بوارو؟

فبسط بوارو يديه وقال:

- إننى لا أعرف كيف أعرب لك عن إعجابى بقوة ملاحظتك يا ليدى وستولم.

- إن التفاصيل الدقيقة قلما تفوتنى.

ونهضت لتغادر الغرفة وتبعتها المس بيرس وهى تنظر فى أسف إلى الرتق فى جوربها الأيسر!

وقبل أن تنصرف المس بيرس تماماً، نادى بوارو عليها وقال:

- لحظة واحدة من فضلك يا مس بيرس.

فتوقفت فجأة والتفتت إليه قائلة وقد بدا الخوف على وجهها:

- نعم يا مسيو بوارو؟

وانحنى بوارو نحوها وأشار إلى مائدة فى الركن وقال:

- أترين هذه الباقة من الزهور البرية على هذه المائدة؟

فحملقت المس بيرس إلى الزهور وقالت:

- نعم.

- وهل لاحظت عند دخولك الغرفة أننى عطست مرة أو مرتين؟

- نعم.

- وهل لاحظت أننى.. أننى كنت أشم هذه الزهور؟

- لا.. لا لم ألاحظ هذا.

- ولكنك تتذكرين أننى عطست؟

- أوه.. نعم.. أننى أتذكر هذا.

فابتسم بوارو وقال:

- حسناً.. لا بأس.. إن هذه الزهور من النوع الذى يثير شيئاً من الحساسية عند بعض الناس.

- الحساسية! أوه.. أن لى ابنة عم مريضة بهذه الحساسية ولا تكاد تأكل شيئاً أو تشم شيئاً حتى تصاب بها.

- شكراً.. شكراً يا مس بيرس.

واستطاع بوارو أن يتخلص من المس بيرس ومن حديثها عن حساسية ابنة عمها.. وبعد انصرافها رفع حاجبيه وغمغم قائلاً كأنما يحدث نفسه:

- ولكننى لم أعطس.. نعم.. لم أعطس منذ أسبوعين على الأقل.



رغبـــات

عندمـا دخل لينوكس بونتـون غـرفـة المسـيو بوارو، كـان الكولونيل كـاربرى قـد غـادرها لبـعض شـأنه، ولو أن الدكتـور جـيرار كـان مـوجـودا بهـا، لدهش كل الدهشة وهو يرى لينوكس يدخل بخطوات ثابتة، مرفوع الرأس، رابط الجأش، أبعد ما يكون عن ذلك الرجل المتهالك الضعيف الخائف من سيطرة زوجة أبيه.

ونهض بوارو لاستقباله قائلا:

– طاب صباحك يا مستر بونتون. إننى شاكر لك تفضلك بالحضور
فأومأ لينوكس وقال وهو فى مجلسه:

– لقد نصحنى الكولونيل كربرى بالحضور قائلا أنه من الأفضل لنا جميعا أن نتجاوب معك حتى لا يبقى هناك أى شك فى طبيعة وفاة أمنا وقال بوارو فى عرض الحديث:

– لا شك أن هذه الوفاة كانت صدمة شديدة لك!

- نعم طبعا.. أعنى.. لا.. ليس الى حد كبير كنا نتوقع وفاتها فى أى وقت بسبب مرضها بالقلب.

- هل كان من الحكمة اذن، وهذه حالتها، أن تسمحوا لها بالقيام بهذه الرحلة الشاقة!

فرفع لينوكس رأسه وقال بوقار:

- إن أمى يا مسيو بوارو أعتادت أن تنفذ رغباتها.. فهى اذا ة شيئا فلابد أن تنفذه دون أى إهتمام بمعارضتنا.

- نعم.. نعم.. أن للسيدات العجائز تصرفات تثير الاعصاب.

قال لينوكس بضيق:

- ما جدوى التحدث فى هذه الشئون الآن؟ بل ما هو الغرض من كل هذه الاجراءات التى تتخذونها؟

- لعلك لا تعرف يا مستر لينوكس أن مثل هذه الاجراءات ضرورية فى حالات الوفاة الفجائية.

فقال لينوكس بحدة:

- ماذا تعنى بعبارة «حالات الوفاة الفجائية»؟

فهز بوارو كتفيه وقال:

- فى هذه الحالات لابد للانسان أن يتساءل:

- هل كنت الوفاة طبيعية أو.. أو إنتحار مثلا.

- إنتحار؟ !!

- إنك طبعا أكثر الناس دراية بالظروف التى أحاطت بالوفاة. ولكن الكولونيل كاربرى فى حيرة من أمره.. إنه لا يعرف هل يصدر أمرا باجراء التحقيق وتشريح الجثة أم.

- حسنا.. لقد طلب منى أن أقوم ببعض التحريات قبل أن يتخذ قراره الاخير فى هذا الشأن.

- إننى فى هذه الحالة مضطر لارسال برقية الى القنصل الامريكى فى القدس.

- هذا من حقك طبعا.. ويمكنك أيضا أن ترفض الاجابة على أية أسئلة أوجهها اليك.

- لا لا.. لا داعى لهذا كله.. إننى مستعد للاجابة على أى سؤال وأن كنت أرى أن الامر أبسط من أن تثار من أجله كل هذه الضجة.

فأومأ بوارو برأسه وقال متلطفا:

إنها مسألة اجراءات عادية. وكل ما أطلبه منك أن تخبرنى بما حدث بعد ظهر يوم الوفاة. لقد علمت إنك تركت المعسكر للقيام بنزهة فى ذلك الوقت!

- نعم.. غادرنا المعسكر جميعا فيما عدا أمى وأختى الصغرى.

- كانت والدتك جالسة أمام كهفها عندئذ؟

- نعم.. كعادتها كل يوم بعد الظهر منذ وصلنا الى بطرا.

- حسنا.. ومتى بدأت النزهة؟.

- بعد الساعة الثالثة.

- ومتى عدت منها؟

- لا أدرى على وجه التحديد.. ربما كانت الساعة عند العودة الرابعة أو الخامسة.

- أى بعد ساعة أو ساعتين من بدء النزهة!.

- نعم.. تقريبا.

- هل مررت بأحد أثناء عودتك؟.

- لا أذكر.

- ألم تمر بسيدتين كانتا جالستين فى طريق العودة؟

- ربما.. نعم.. ربما.

- كأنك كنت مستغرقا فى تفكير شديد.

- نعم.. هذا ما حدث.

فصمت بوارو برهة قبل أن يستأنف أسئلته قائلا:

- هل تحدثت مع والدتك، أى مع زوجة أبيك، عند عودتك؟

- نعم.. نعم.. هذا ما فعلته.

- ألم تشك لك من إحساسها بتعب أو مرض مفاجىء!

وفكر لينوكس برهة قبل أن يجيب قائلا:

- لا بل كانت فى حالة طيبة.

- هل يمكن أن أسأل عما دار بينكما بالتفصيل؟

ومرة أخرى صمت لينوكس قبل أن يجيب قائلا:

- قالت إننى بادرت بالعودة، فقلت نعم، لان الجو حار. ثم سألتنى عن الوقت قائلة أن ساعة يدها توقفت.. فأخذتها منها وضبطتها، ثم أعدتها ووضعتها فى معصمها.

وقاطعه بوارو قائلا برفق:

- وكم كان الوقت عندئذ؟

- أه!! ؟.

- كم كان الوقت عندما ضبطت الساعة للمسز بونتون؟

- كان.. كان الخامسة الا خمسا وعشرين دقيقة.

فقال بوارو برفق:

- أذن فقد كنت تعرف متى عدت الى المعسكر على وجه التحديد!

فاضطرم وجه لينوكس وقال:

- نعم.. ما أغبانى! إننى آسف يا مسيو بوارو.. لقد خانتنى ذاكرتى ولا عجب فى هذا بعد كل هذه المتاعب.

- نعم.. نعم.. إن لك العذر طبعا..

- حسنا وماذا حدث بعد ذلك؟

- سألت أمى إن كانت تريد شيئا .. شرابا .. أو شايا أو قهوة، فقالت لا .. ثم ذهبت الى حديقة الاستراحة ولم يكن بها أحد من العمال العرب.. فشربت زجاجة ماء بالصودا، ثم جلست أقرأ بعض أعداد قديمة من مجلة ستردى ايفننج بوست.. ويبدو أننى غفوت قليلا.

- وهل أنضمت اليك زوجتك فى حديقة الإستراحة؟

- نعم.. جاءت بعد مدة غير طويلة.

- ولم تر انت المسز بونتون على قيد الحياة بعد ذلك؟

- نعم.. لم أرها إلا .. متوفاة.

- ولم تكن مهتاجة أو مضطربة حين تحدثت اليها؟.

- لا .. كانت تماما كعهدنا بها.

- هل هذا كل ما لديك من أقوال؟.

- نعم.

- حسنا .. أرجو أن تتكرم بارسال السيدة زوجتك.

وبعد انصراف لينوكس، كتب بوارو فى مفكرة أمامه ما يلى لينوكس بونتون: الساعة ٤:٣٥ بعد الظهر.

نظر بوارو باهتمام الى نادين وهى تدخل الغرفة بقامتها الطويلة، ورأسها المرفوع فى شموخ واعتداد بالنفس، ثم نهض ليستقبلها ويحييها بصوت رقيق قائلا:

– مسز لينوكس بونتون؟ إننى هيركيول بوارو، فى خدمتك.

– وجلست نادين بونتون، وركزت عينيها على وجه بوارو الذى أردف قائلا:

– أرجو أن تغفرى لى موقفى هذا فى ساعات أحزانكم.

وصمتت برهة قبل أن تتنهد قائله:

– أعتقد أنه من الافضل أن أكون صريحة معك يا سيد بوارو.

– إننى أتفق معك فى هذا يا سيدتى.

– إذن أرجو أن تعلم أننا لا نشعر بأى حزن على وفاة المسز بونتون.. أو هذا شعورى أنا على الاقل..

– شكرا لك على هذه الصراحة يا مسز لينوكس.

– ومع ذلك فأنا أشعر بتأنيب الضمير.

–عجبا!!

– لاننى كنت السبب المباشر فى موتها.

فتراخى بوارو فى جلسته وقال:

– هل تسمحين يا سيدتى وتفسرين حديثك هذا؟

– نعم.. هذا ما أريد أن أفعله. لقد خطر لى فى أول الامر أن أحتفظ لنفسى بما حدث.

٣ولكن بعد هذه التطورات، رأيت أن أذكر الحقيقة. وأعتقد يا مسيو

بوارو أنك جدير بأن يفضى اليك الانسان بأسراره الخاصة.

- شكرا يا مسز لينوكس.

- حسنا.. يمكننى أن أخبرك أن حياتى الزوجية لم تكن سعيدة، ولا ذنب لزوجى فى هذا، لان زوجة أبيه كانت مسيطرة عليه تماما.. وقد خامرنى الشعور منذ مدة بأنى لم أعد أطيق الاستمرار فى هذه الحياة.

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة:

- وفى يوم وفاة المسز بونتون، أو على الاصح، بعد ظهر ذلك اليوم، أتخذت قرارا نهائيا ورأيت أن أبدأ بتنفيذه فورا. ومن ثم عدت الى المعسكر من نزهتى وانتهزت فرصة وجود المسز بونتون بمفردها أمام كهفها وأخبرتها بهذا القرار.

- حسنا يا سيدتى.. هل يمكن أن أعرف هذا القرار؟

- قررت أن أنفصل عن زوجى.

- أهكذا؟.

- نعم.. وكان المستر كوب، صديق الاسرة، يلح على دائما أن أفعل هذا لاتزوجه. وقد وافقت على رغبته فى ذلك اليوم.

- وهل دهشت المسر بونتون عندئذ؟

- نعم.. بل صدمت، لقد دهشت وغضبت فى وقت واحد.. بل لقد تمادت فى غضبها بحيث لم تستطع أن تقول شيئا فى أول الامر، ولم

أشأ أنا أن أجادلها فى شأن يخصنى، فنهضت وأنصرفت عنها.

وصمتت برهة ثم أردفت قائلة:

– ولم أرها بعد ذلك على قيد الحياة.

– وأنت تظنين أن وفاتها ناتجة عن هذه الصدمة؟.

– بل يبدو لى أن هذا هو المؤكد. فقد أجهدت نفسها فى الرحلة أكثر مما ينبغى، وقد أجهز عليها حديثى معها والصدمة التى تلت هذا الحديث، وأن أحساسى بالذنب يزداد لاننى أعرف الكثير عن الشئون الطبية، وكان ينبغى أن أدرك سلفا نتائج مثل هذه الصدمه عليها.

– وماذا فعلت على وجه التحديد بعد إنصرافك عنها؟

– أعدت المقعد الى كهفى، وهبطت الى حديقة الاستراحة حيث كان زوجى جالسا.

– هل أخبرته بذلك قبل حديثك مع المسز بونتون!

– أخبرته فى حديقة الاستراحة.

– وكيف تلقى هذا القرار؟

– اضطرب أشد الاضطراب.

– ألم يطلب منك فى الحاح أن تعيدى النظر فى قرارك هذا؟.

– الواقع أنه لم يتحدث كثيرا.. لأنه.. لأنه كان يتوقع أن يحدث هذا عاجلا أو اجلا.

- معذرة فى توجيه هذا السؤال اليك.. هل الرجل الآخر هو.. المستر جيفرسون كوب!

- نعم.

- هل لديك محقن يامسز لينوكس..؟

وبعد برهة صمت طويلة قال بوارو فى هدوء تام:

- نعم.. ولا..!

فلما رفع حاجبيه فى دهشة، فسرت الامر بقولها:

- أن لدى محقنا قديما في حقيبة الادوية بين أمتعة السفر.. وهو موجود فى القدس بالفندق.

- آه.. فهمت.

وبعد برهة صمت قالت نادين وهى ترتعد بقلق:

- لماذا توجه الى هذا السؤال يا مسيو بوارو!

ولم يجب عن سؤالها، وإنما وجه اليها سؤالا آخر:

- أعتقد أن المسز بونتون كانت تتناول عقارا يحتوى على أحد مستحضرات الديجيتالا!.

- نعم..

- لانها كانت مريضة بالقلب!.

- نعم..

– والديجيتالا من العقاقير التى تحتوى على سموم؟

– أعتقد هذا.. وان كنت لا أعرف الشىء الكثير عنه.

– إذا كانت المسز بونتون قد تناولت جرعة أكبر مما ينبغى من هذا الدواء.

فقاطعته بسرعة قائلة:

– انها لم تفعل، لانها كانت دقيقة جدا فى هذه الناحية. وكذلك كنت أنا حين أضع النقط بالعدد المطلوب.

– ربما كانت نسبة عقار الديجيتالا أكبر من اللازم فى هذا الدواء.. أى ربما أخطأ الصيدلى فى تحضيره!.

– أعتقد أن هذا غير محتمل.

– حسنا.. سوف نتأكد من هذا بتحليل الدواء..

– هذا أيضا غير ممكن، لأن زجاجة الدواء إنكسرت..

فرفع بوارو حاجبيه فى إهتمام مفاجىء وقال:

– أحقا.. وماذا كسرها؟.

– لا أدرى على وجه التأكيد.. أنه أحد العمال كما أظن. لقد كان الضوء خافتا عند نقل أمتعة المسز بونتون الى الكهف، كما كان الجميع فى حالة استعجال وقد أصطدم أحد العمال بمنضدة.

– أن هذا لشىء يثير الاهتمام حقا.

وتململت نادين فى مقعدها وقالت بلهجة تحد:

- هل تعتقد أن المسز بونتون لم تمت من صدمة حديثى معها، وإنما بسبب جرعة زائدة من العقار! إننى لا أرى هذا محتملا.

- حتى لو قلت لك أن الدكتور جيرار الذى كان مقيما فى المعسكر وجد أن كمية من عقار الديجيتوكسين ناقصة من زجاجة فى حقيبة أدويته؟

وتسمرت نادين فى مكانها وقد امتقع وجهها بشدة. وقال بوارو:

- حسنا يا سيدتى.. ما رأيك فى هذا؟

ومرت بضع لحظات قبل أن ترد نادين قائلة بصوت مرتعد:

- أنت تعرف يا مسيو بوارو إننى لم أقتل المسز بونتون. لقد كانت على قيد الحياة حين انصرفت عنها. ويمكن لعدد كبير من الناس أن يشهدوا بهذه الحقيقة. وما دمت بريئة من هذه التهمة يمكننى أن أتقدم بالتماس اليك. لماذا تشق على نفسك بالتدخل فى هذا الموضوع! اذا أقسمت لك بشرفى أن العدالة.. والعدالة وحدها قد أخذت مجراها فهل تنفض يديك من الموضوع كله! لقد كان الشقاء يظلل عددا من الابرياء المسالمين، وهم الان يعيشون فى أمن وسلام وأمل فى السعادة، فلماذا تحاول أن تحطم هذا كله؟

وركز بوارو نظراته عليها ثم قال:

- صارحينى يا سيدتى.. ماذا تريدين منى أن أفعل؟

- إننى أطلب منك أن توافق على ما أقول وهو أن المسز بونتون ماتت

ميتة طبيعية.

- أرجو أن تحددى الموقف. تعتقدين أن المسز بونتون ماتت مقتولة، ولكنك تريدين منى أن أتجاوز عن هذا.

- إننى أطلب منك الرحمة.

- الرحمة لشخص لا يعرف معنى الرحمة؟

- انك لا تفهم الحقيقة.. الأمر ليس هكذا.

- هل أرتكبت أنت هذه الجريمة يا سيدتى حتى تعرفى الحقيقة كلها؟

فهزت نادين رأسها وقالت بهدوء:

- لا.. لقد كانت على قيد الحياة حين انصرفت عنها.

- اذن ماذا حدث؟

- انك إما تعلمين عن يقين أو ترتابين.

- لقد سمعت يا مسيو بوارو انك فى جريمة فى قطار الشرق قد قبلت حلا غير رسمى فى موقف مماثل لهذا.

فنظر اليها مندهشا وقال:

- ومن قال لك هذا:

- سمعت.. فهل ما سمعته صحيح؟.

- لقد كانت الظروف مختلفة.

- لا .. لقد كان الرجل القتيل شريرا .. كما كانت هى.

- ان أخلاق المجنى عليه لا دخل لها فى أمر كهذا .. وأن الشخص الذى يعطى لنفسه حق الاقتصاص من الغير بلا سند قانونى يمكن أن يتمادى ويصبح خطرا على المجتمع، ولهذا يجب التخلص منه أو الحد من خطره.

- ما أشد صلابتك؟

- سيدتى.. إننى عنيد فى بعض الظروف. ولا يمكن ان أتسامح مع شخص يرتكب جريمة قتل، هذه هى كلمة هيركيول بوارو الاخيرة.

فنهضت قائلة وقد تطاير الشرر من عينيها:

- اذن اذهب وأجلب الشقاء على رءوس أناس أبرياء معذبين.. أما أنا، فلم يعد لدى ما أقول.

- ولكن ماذا حدث بعد أن أنصرفت عن المسز بونتون وذهبت الى زوجك فى حديقة الاستراحة!

- ومن أين لى أن أعرف؟.

- انك تعرفين أو.. ترتابين على الاقل.

فقالت وهى تنصرف من الغرفة:

إننى لا أعرف شيئا يا مسيو بوارو.

بعد انصراف نادين، كتب بوارو فى مفكرته هذه العبارة نادين بونتون: الساعة ٤:٤٠ بعد الظهر.

ثم استدعى أحد رجال الشرطة وطلب منه استدعاء المس كارول بونتون. فلما أقبلت هذه، نظر اليها بوارو باهتمام ولاحظ اضطراب أعصابها فى ارتعاد أصابع يديها الجميلتين وشحوب وجهها وقال لها محييا:

- تفضلى بالجلوس يا مس كارول.

ولما جلست فى خضوع قال لها:

- الآن.. ارجو منك أن تخبرينى بكل ما تعرفين عما حدث بعد ظهر اليوم الذى حدثت فيه الوفاة.

وأجابت بسرعة جعلت بوارو يشك فى إنها تحفظ الاجابة عن ظهر قلب:

- لقد ذهبنا الى نزهة.. ثم عدت الى المعسكر.

- لحظة واحدة من فضلك.. هل ذهبتم معا.. جميعا؟

- لا.. لقد كنت معظم الوقت مع أخى ريموند أو مع المس كنج، ثم انفردت بنفسى.

- شكرا.. ثم عدت الى المعسكر.. متى على وجه التقريب!

- أعتقد ان الساعة كانت الخامسة وعشر دقائق.

ودون بوارو فى مفكرته هذه العبارة كارول بونتون:

الساعة ٥:١٠ بعد الظهر تقريبا.

ثم قال لها:

– وبعد ذلك؟

– كانت أمي جالسة حيث تركناها .. فذهبت اليها وتحدثت معها، ثم مضيت الى خيمتى.

– هل تذكرين الحديث الذى دار بينكما؟

– قلت لها فقط أن الجو حار وانى ساستريح قليلا فى خيمتى. وقالت هى انها ستبقى فى مكانها .. هذا هو كل شىء؟.

– آلم يكن فى مظهرها شىء خاص لفت نظرك!.

ففكرت برهة ثم قالت:

– أتذكر الآن فقط أن وجهها كان شديد الاحمرار؟.

– ربما كان من صدمة تلقتها؟

– صدمة؟!

– نعم.. أو لعلها كانت غاضبة بسبب تصرف أحد العمال فى المعسكر.

– ربما.

– كأنما لم تخبرك بشىء؟.

– لا .. مطلقا.

– وماذا فعلت بعد ذلك؟.

– عدت الى خيمتى ورقدت نحو نصف ساعة، ثم توجهت الى حديقة

الاستراحة حيث كان أخى وزوجته جالسين يقرآن.

- وماذا فعلت أنت؟.

- فرغت من خياطة قطعة ملابس، ثم التقطت مجلة.

- هل تحـدثت مع أمك مـرة أخـرى عند توجـهك الى حـديقـة الاستراحة؟

- لا.. لقد توجهت الى الحديقة فورا.. بل أعتقد أننى لم ألتفت الى حيث كانت أمى جالسة.

- وبعد ذلك؟.

- بقـيت فى حـديقـة الاسـتـراحـة حـتى.. نقلت الينا المس كنج نبـأ وفاتها.

- وماذا كان شعورك عندئذ يا مس كارول؟

فحملقت فى وجهه برهة، ثم قالت:

- كانت صدمة شديدة.

- أحقا!!.

- ماذا تعنى يا مسيو بوارو؟

- هل كانت صدمة شديدة حقا؟

- الا تذكـرين حـديثـا دار بينك وبين ريمـوند فى ليلة مـا بمدينة القدس؟.

وأصابت كلماته الصميم، فإذا وجهها يمتقع بشدة، اذا هى تقول هامسة:

- هل تعرف هذا؟.

- نعم..

- ولكن.. كيف؟.

- سمعت جزءا من هذا الحديث وأنا أغلق نافذة غرفتى.

ودفنت كارول وجهها بين يديها وبكت، وقال بوارو:

- كنت تتآمرين مع أخيك ريموند على قتل زوجة ابيكما!

وبصوت تقطعة شهقات البكاء، قالت:

- كنا مجنونين.. مجنونين فى تلك الليلة.

- ربما.

- أن من المستحيل عليك أن تتصور الحالة النفسية التى كنا عليها. لقد كان عذابنا محتملا فى أمريكا.. أما أن رأينا الدنيا وجمالها، فقد تضاعف شعورنا بالسجن والحرمان. وهكذا انتابنا الشعور باليأس ولا سيما بسبب حالة جينى.

- جينى؟!

- شقيقتى الصغرى.. جنيفرا. إنك لم ترها. وقد بدأت قواها العقلية تختل من فرط الضغط الواقع عليها. وكنت أخشى، مع ريموند، أن ينتهى بها الامر الى الجنون التام. وقد وافقتنا نادين على هذا،

ونادين تعرف فى مثل هذه الامور الصحية أكثر منا.

- نعم.. نعم.. طبعا.

- وفى تلك الليلة فى القدس، كانت حالتنا النفسية قد بلغت الذروة من السوء مما جعلنا نظن أن التآمر على قتل زوجة أبينا أمر ضرورى، وليس فيه ما يسىء الى أحد.. لقد آمنا عندئذ أنها مجنونة تماما.. اننى لا أعرف رأيك فى أمر كهذا. ولكنى أعتقد أن قتل انسان فى بعض الاحوال يعتبر عملا نبيلا.

فأومأ بوارو برأسه وقال:

- هذا ما يبدو أحيانا، وماأثبته التاريخ!.

- وهذا ما شعرت به أنا وريموند فى تلك الليلة. ولكننا لم ننفذ أقوالنا. نعم.. لم ننفذها بطبيعة الحال. فعندما أشرقت شمس الصباح، بدت لنا أقوالنا غريبة شاذة مضحكة! بل وشريرة أيضا. أجل يا مسيو بوارو. لقد ماتت أمنا ميتة طبيعية جدا بسبب مرضها بالقلب، وليس لى أو لريموند أى يد فى موتها.

وقال بوارو بهدوء:

- هل تقسمين يا آنسة أمامى بأن موت المسز بونتون لم يتسبب عن أى تصرف منك؟.

فرفعت كارول رأسها وقالت بصوت ثابت عميق:

- أقسم بالله أنى لم أسىء اليها يوما.

وتراخى بوارو فى مقعده وقال:

- هكذا الامر أذن؟!

وفجاة أردف قائلا:

- ما هى الخطة التى فكرتما فى اتخاذها لقتل المسز بونتون؟

- لم تكن لدينا أية خطة، ولم نصل بتفكيرنا الى هذا الحد.

ونهض بوارو وقال:

- هل تسمحين بارسال أخيك ريموند يا آنسة؟.

ونهضت بدروها وقالت مترددة.

- هل صدقتنى يا مسيو بوارو؟

- هل يبدو على أنى لا أصدقك؟

- لا.. ولكن.

ثم استدارت ومضت الى الباب.. وهناك توقفت والتفتت الى بوارو ثم قالت:

لقد قلت لك الحقيقة كلها.

ولم يجب بوارو.

وانصرفت هى من الغرفة ببطء.

لاحظ بوارو الشبه الكبير بين ريموند وأخته كارول.. وكان الشاب عند دخوله يبدو ثابت الجنان، متمالك الاعصاب، وبعد أن جلس فى

مقعده، حملق فى وجه بوارو وقال:

- حسنا!.

وقال بوارو بهدوء هل تحدثت أختك معك؟.

- نعم عندما طلبت منى أن آتى اليك. ومن حقك طبعا ان ترتاب فى أمرنا بعد أن سمعت حديثنا فى تلك الليلة.. ولكنى اؤكد لك أن هذا الحديث كان حلم ليلة صيف.. لا أكثر. لقد كنا نعانى من ارهاق عصبى عنيف وكان الحديث عن قتل زوجة أبينا مجرد تخفيف عن حالتنا العصبية فقط.

- هذا محتمل جدا.

- وفى الصباح بدت لنا أقوالنا مضحكة.. واقسم لك يا مسيو بوارو أننى لم أفكر فى هذا الموضوع بعد ذلك.

ولما لم يقل بوارو شيئاً، استطرد ريموند قائلاً:

- أوه.. نعم.. أن من السهل على أى إنسان أن يقول هذا.

- أن يقول إنه برىء، وأنه لم يفكر فى ايذاء أحد.. وأنا لا أتوقع أن تصدقنى بلا دليل يؤيد أقوالى.. ولكن عليك أن تراعى هذه الحقائق، لقد تحدثت مع أمى قبل السادسة بقليل، وكانت على قيد الحياة عندئذ، ثم دخلت خيمتى واغتسلت ثم انضممت إلى الجميع فى حديقة الاستراحة، وبقيت فيها مع كارول أمام الجميع دون أن نتحرك من مكاننا حتى سمعنا نبأ وفاتها..

أننى أؤكد لك يا مسيو بوارو أن وفاتها كانت طبيعية، ولا يمكن أن

تكون غير هذا.. لقد كان المكان مليئاً بالعمال العرب الرائحين والغادين.

- هل تعرف يا مستر ريموند بونتون أن المس سارة تؤكد أن زوجة أبيك كانت قد ماتت قبل ساعة ونصف ساعة على الأقل من السادسة والنصف حين اكتشفت وفاتها.

فحملق ريموند فى وجهه مصعوقاً ثم قال:

- هل قالت سارة هذا؟

- نعم.. فما رأيك؟!

- ولكن.. ولكن هذا مستحيل.

- هذه هى شهادة المس سارة كنج، وها أنت الآن تأتى وتخبرنى بأن زوجة أبيك كانت على قيد الحياة قبل أربعين دقيقة من اكتشاف وفاتها!

- ولكنها كانت كذلك؟

- كن حريصاً فى أقوالك يا مستر ريموند بونتون.

- لاشك أن سارة اخطأت التقدير.. لابد أن هناك عوامل أخرى غفلت عنها.. مثل انعكاس الحرار على الصخور أو شىء من هذا القبيل، أننى أؤكد لك يا مسيو بوارو أن أمى كانت على قيد الحياة قبل السادسة بقليل وأنى تحدثت إليها.

ولما لم يقل بوارو شيئاً، انحنى ريموند إلى الأمام وقال:

– اتثير يا مسيو بوارو كل هذه الشكوك لأنك سمعت فى ليلة حديثاً مضحكاً دار بين أخ وأخت يعانيان من أرهاق عصبى!!

فهز بوارو رأسه وقال:

– أنك مخطىء فى هذا يا مستر بونتون.. هناك شىء آخر أهم هناك السم الذى أخذ من حقيبة الدكتور جيرار.

فحملق ريموند فى وجهه وقال:

– سم!!

ثم نهض وازاح المقعد بعيداً عنه وأردف قائلاً:

– أهذا ما ترتاب فيه؟

– أكانت خطتك تختلف عن هذه؟!

فقال ريموند بلا حرص:

– أوه.. نعم! أن هذا يغير كل شىء..

ـ أننى لا أستطيع أن أركز تفكيرى فى شىء الآن.

– ماذا كانت خطتكما؟

– خطتنا؟.. كانت..

وامسك ريموند عن الحديث فجأة وقد التزم جانب الجذر ثم قال:

– اعتقد أننى لن أقول شيئاً أكثر مما قلت.

– حسنا.. كما تشاء.

ثم راح يرقب الشاب وهو ينصرف من الغرفة.

وأخيراً تناول المفكرة وراح يكتب فيها بخط دقيق أنيق هذه العبارة: ريموند بونتون الساعة ٥,٥٥ بعد الظهر.

ثم تناول ورقة كبيرة وراح يدون فيها شيئاً.. فلما فرغ تراجع فى مقعده وراح يتأمل ما دونه.. وكان كما يلى:

غادر آل بونتون والمستر كوب المعسكر فى الساعة ٣,٥ تقريباً.

غادر الدكتور جيرار والمس سارة كنج المعسكر فى الساعة ٣,١٥ تقريباً.

غادرت الليدى وستولم والمس بيرس المعسكر الساعة ٤,١٥.

عاد الدكتور جيرار فى الساعة ٤,٢٠ تقريباً.

عاد لينوكس بونتون فى الساعة ٤,٣٥ تقريباً.

عادت نادين بونتون إلى المعسكر وتحدثت مع المسز بونتون فى الساعة ٤,٥٠.

عاد ريموند بونتون إلى المعسكر الساعة ٥,٥٠.

عادت سارة كنج إلى المعسكر الساعة ٦,٠٠.

اكتشف الوفاة الساعة ٦,٣٠.

طوى بوارو هذا الجدول ثم أمر باستدعاء المرشد السياحى محمود، فأقبل هذا بجسمه المتين وابتدره بوارو بقوله:

- ماذا كنت تفعل مع عمالك من الساعة الخامسة والنصف مساء يوم الوفاة؟

- الساعة الخامسة والنصف؟ لم يكن أحدنا يعمل شيئاً .. لقد أعددنا الغداء فى الثانية، ثم رفعنا بقاياه فى الثالثة إلا الربع تقريباً، ونام جميع السائحين بعد ذلك أو على الأقل دخلوا خيامهم، وفى الساعة الخامسة خرجت إلى حديقة الاستراحة لأشرف على مطالبهم وأقدم الشاى لمن يريد منهم..

ولكننى لم أجد أحداً .. كانوا جميعاً قد خرجوا للنزهة فى الجبل.. واغتبطت بهذا، وعدت إلى خيمتى لاستئناف النوم.. وفى الساعة السادسة إلا الربع بدأت المتاعب..

لقد عادت السيدة الانجليزية وطلبت إعداد الماء الساخن لها لكى تصنع ابريقاً من الشاى هذا بينما كان العمال يجهزون المائدة للعشاء.. وقد أثارت ضجة كبيرة عن مياه الشرب قائلة إن هذه المياه يجب أن تغلى قبل تناولها، وأننى يجب أن أشرف على هذا بنفسى.

- لقد علمت أن المسز بونتون قبل وفاتها كانت غاضبة على أحد العمال، فهل تعرف من هو العامل الذى أثار غضبها؟

- ومن أين لى أن أعرف؟ أن السيدة العجوز لم تشك العامل إلىّ.

- ألا يمكنك أن تتحرى وتعرف من هو؟

- لا يا سيدى.. هذا مستحيل.. لأن العمال لا يعترفون لى الآن بارتكاب أى خطأ .. أتقول أن السيدة العجوز كانت غاضبة؟ حسناً .. من

الطبيعى أن يحاول العامل المخطىء أن ينكر كل شىء.

كانت سارة كنج جالسة على ربوة تقتطف، وهى مشغولة الفكر بعض الأزهار القريبة منها، وأقبل الدكتور جيرار وجلس بجوارها فلما شعرت به، قالت له بلهجة حادة:

– لماذا أثرت كل هذه المشكلات يا دكتور جيرار؟ فما أقوالك.

فقاطعها الدكتور جيرار قائلاً ببطء:

– هل كنت تفضلين أن التزم الصمت؟

– لقد كنت محموماً.. حرارتك مرتفعة جداً.. وهو ما يعنى أنك لم تكن فى حالة تجعل تفكيرك واضحاً وصافياً ومن المحتمل أن يكون المحقن موجوداً فى مكانه دون أن تراه طيلة الوقت.. ولعلك قد اخطأت فى تقدير كمية عقار الديجيتوكسين الذى كان لديك، أو لعل أحد العمال عبث به.

فقال جيرار فى لهجة واقعية:

لا داعى لهذا القلق.. أن الأدلة ضعيفة وغير واقعية.. وسوف ترين [illegible] سينجو أصدقاؤك من آل بونتون من العقاب.

فهتفت [illegible]:

– أترى؟.. أن [illegible] منهم لم ينج منها فى النهاية! حتى وهى فى قبرها لاتزال تمسك بهم! لقد كانت رهيبة فى حياتها.. ورهيبة فى موتها.. وأنى لا أشعر أنها الآن تستمتع بما يعانونه من أجلها.

وفجأة قالت بصوت مختلف اللهجة تماماً:

- هو ذا الرجل القصير الأصلع مقبل نحونا.

- أنه المسيو بوارو.. لعله آت للبحث عنا.

ولما وصل بوارو إليهما، مسح جبينه وقال وهو يلهث:

- يالهذه البلاد الصُخرية.. مسكين حذائى.

فقالت سارة بلا رحمة:

- يمكنك أن تستعير أدوات تنظيف الأحذية من الليدى وستولم.

فهز بوارو رأسه وقال:

- إن أدواتها لا تستطيع أن تزيل الخدوش!

- ربما.. ولكن لماذا بحق السماء ترتدى حذاء ثميناً فى منطقة صخرية كهذه!

- إننى أحب أن أبدو دائماً فى أحسن مظهر.

- حتى فى المناطق الصحراوية؟!

فقال جيرار:

- إن النساء لا يكن فى أحسن مظهر بالمناطق الصحراوية.. فرغم أن المس كنج قد تبدو أنيقة ونظيفة دائماً، فإن الليدى وستولم لا تبدو كذلك بملابس الركوب الخشنة.. يالها من امرأة رهيبة المنظر! وتلك المسكينة المس بيرس.. إن ملابسها دائماً مسترخية كأوراق الكرنب

الذابلة.. حتى المسز نادين بونتون التى تتمتع بجمال باهر لا تبدو أنيقة.. إن ملابسها لا تلفت الأنظار إعجاباً.

وقالت سارة فى لهجة لا تخلو من التهكم:

– اعتقد أن المسيو بوارو لم يصعد إلينا ليتحدث عن الملابس النسائية.

فقال بوارو:

– صدقت! لقد جئت لاستشير الدكتور جيرار.. أن لآرائه قيمتها الكبيرة فى نظرى، وكذلك اراؤك يا مس كنج، أنك شابة وعلى إلمام بأحدث نظريات علم النفس.. إننى أريد أن أعرف كل ما يمكن معرفته عن المسز بونتون.

فقالت سارة:

– ألم تعرف الآن كل شىء عنها؟

قال بوارو:

– هناك أشياء مازلت أجهلها.. فمثلاً ما هو السبب الذى جعل المسز بونتون تقوم بهذه الرحلة مع علمها بأن رحلة كهذه قد تفتح فى أذهان سجنائها آفاقاً جديدة تجعلهم يفكرون جدياً فى التمرد عليها!

فابتسم الدكتور جيرار وقال:

– إن تفسير هذا الموقف بسيط جداً.. أنه نابع من الملل.. لقد ملت المسز بونتون حياتها بعد أن نجحت تماماً فى اخضاع أفراد أسرتها

لارادتها.. ولهذا رأت أن تغزو - مثل الاسكندر - آفاقاً جديدة تمارس فيها نزعتها نحو السيطرة ومن ثم فكرت فى هذه الرحلة وهى تعلم أن سجناءها سوف يحاولون التمرد عليها، وهذا سيتيح لها لوناً من الصراع المثير من أجل اعادتهم إلى الأقفاص.. تماماً كما تفعل مروضة الوحوش.

وتنهد بوارو بعمق وقال:

- نعم.. نعم.. هذه هى الحقيقة الكاملة.. وأن كل شىء يتفق معها، وأن الأم بونتون قد دفعت الثمن فى النهاية.

فانحنت سارة إلى الأمام وقالت:

- هل تعنى أنها اسرفت فى قسوتها على ضحاياها التى دفعتهم أو دفعت احدهم إلى افتراسها!

فلما أومأ بوارو برأسه قالت:

- من هو.. أو هى؟!

- ولم يجب بوارو.. وانما راح يركز نظرته على فتاة تسير بجوار الربوة.. كانت تسير بخطوات رشيقة خفيفة وقد عكس شعرها الذهبى ضوء الشمس واشرفت على شفتيها ابتسامة حالمة.

وتنفس بوارو فى عمق وقال:

- ما اجملها.. وما أجمل وجهها الحالم وخطواتها الرشيقة.. هكذا يجب أن تمثل أوفيليا فى المسرح.. مثل الهة شابة تسير فى عالم غريب وقد امتلأت بالسعادة لتحررها من آلام البشر.

وقال جيرار:

- نعم.. نعم.. أنك على حق.. أنه وجـه يحلم به الإنسـان.. أليس كذلك؟ لقد حلمت به وأنا أعانى الحمى فى خيمتى بمنطقة بطرا.. لقد فتحت عينى لارى هذا الوجه الحالم والبسمة العذبة.. ما أجمله حلم، وعندما استيقظت شعرت بالأسف.

ثم أردف قائلاً وقد استرد هدوءه:

إنها جنيفرا بونتون.



الخطـــر

بعد لحظة كانت الفتاة قد وصلت إليهم.. وقام الدكتور جيرار بمهمة التعارف، ونظرت جنيفرا باهتمام إلى بوارو الذى قال لها برفق..

– هل تتكرمين بالسير معى قليلاً يا مس جنيفرا بونتون؟

وسارت بوادعة معه، فلما ابتعدا، قالت له فجأة:

– أنك مفتش مباحث خاص.. أليس كذلك يا مسيو بوارو؟

– نعم.. ومشهور جداً.

– أشهر مفتش مباحث فى الدنيا.. ولاشك أنك جئت هنا لحمايتى.

– هل أنت فى خطر يا آنسة؟

– نعم.. لقد اخبرت الدكتور جيرار فى مدينة القدس أننى لست أحد أفراد أسرة بونتون.. أننى أميرة ملكية متخفية، وكان بارعاً إذ اخفى حقيقته عنى، ولكنه تبعنى إلى مدينة الصخور الحمراء ليتولى حمايتى أنهم يريدون قتلى، ولهذا يجب أن أتخذ جانب الحذر دائماً.

فأومأ بوارو برفق وقال:

- أهكذا؟

- نعم.. ولكن الدكتور جيرار إنسان طيب القلب.. أنه يحبني بكل جوارحه.

- يحبك؟

- نعم.. كان يذكر اسمي في نومه.. لقد رأيته هناك.. في خيمته يتقلب ويذكر اسمي.. وتسللت خارجة.. وكنت أظن أنه استدعاني.. أن أعدائي كثيرون، وهم حولي في كل مكان.. وبعضهم يتنكرون في ملابس غريبة الشكل!

- أين كنت يا مس جنيفرا بعد ظهر يوم الوفاة؟

- كنت في خيمتي.. وكان الجو حاراً داخلها، ولكنني لم اجرؤ على الخروج خوفاً من أن يقتلوني.

ثم ارتعدت واردفت قائلة:

- لقد أطل واحد منهم برأسه داخل خيمتي، وكان وكان متنكراً في ملابس العرب.. وتظاهرت بالنوم.. وكان هذا الشيخ يريد أن يختطفني.

وسار الاثنان فترة في صمت.. وأخيراً قال بوارو:

- ان أقاصيصك هذه بارعة جداً.

فضربت الأرض بقدمها وقالت غاضبة:

- هذه ليست أقاصيص يا مسيو بوارو.. أنها حقائق.

ثم استدارت وانطلقت بعيداً عنه هابطة الربوة.

وبينما كان بوارو يشيعها بنظراته، سمع وراءه صوتاً يقول:

- ماذا قلت لها؟

وكان المتحدث هو الدكتور جيرار، وكانت سارة فى طريقها إليهما.. وبعد أن سار الثلاثة برهة، قال بوارو مجيباً:

- قلت لها إنها تخيلت لنفسها أقاصيص جميلة.

- ويبدو أنها غضبت! أن غضبها هذا فأل حسن.. أنه يدل على أنها لم تفقد عقلها تماماً.. وأعتقد أننى سأستطيع علاجها والأخذ بيدها إلى الشفاء.

- آه.. أنك ستتولى علاجها إذن؟

- نعم.. لقد تحدثت فى هذا الموضوع مع المستر لينوكس وزوجته.. ولسوف تحضر جنيفرا إلى باريس وتدخل إحدى المصحات التى أ· رف عليها.. وبعد ذلك سنلحقها بمعهد للتمثيل.

- التمثيل؟

- نعم.. أنها ستنجح فى هذه المهنة نجاحاً كبيراً لأنها فى الواقع قد ورثت عن أمها حب السيطرة والطموح.. والتمثيل على المسرح هو المنفذ الوحيد للتخفيف من هذا الشعور..

- أنها على المسرح تستطيع أن تتقمص أية شخصية تتمنى أن

تكونها.

وبعد أن فرغ من حديثه انحنى واستأذن للانصراف وعندئذ قالت سارة لبوارو بعد أن سارا معاً برهة:

- إننى لا اتفق معه فى أنها ورثت عن أمها تلك الصفات الرهيبة، وذلك رغم أننى شعرت نحو تلك المرأة بالعطف يوماً.

- أحقاً؟ متى كان ذلك؟

- فى القدس.. فى بهو الفندق.. لقد أحسست فجأة أنها إنسانة جديرة بالعطف والاشفاق، وخيل إلى أن من واجبى أن اترفق بها وأجعلها تشعر بما فى النفس البشرية من خير، فلما ذهبت إليها وتحدثت معها، لمحت الليدى وستولم جالسة بالقرب منا، وخطر لى أنها تسمع حديثنا، وعندئذ انتابنى الخجل والارتباك وأحسست أننى ارتكبت أكبر حماقة.

- هل تذكرين الكلمات التى قالتها لك المسز بونتون فى ذلك الوقت؟

- اعتقد هذا..

ـ كانت كلمات غريبة، وأن غرابتها هى التى جعلتنى اتذكرها، لقد قالت لى وهى تحملق فيما ورائى «إننى لا أنسى أبداً.. تذكرى هذا.. إننى لا أنسى قط شيئاً، ولا تصرفا، ولا اسما.. ولا وجها».

وارتعدت سارة واردفت قائلة:

- كانت تقول هذه العبارة بلهجة كلها الشر.. وأنى أكاد أسمع صوتها الآن.

والتفتت إليه فجأة وقالت:

- مسيو بوارو.. هل وصلت فى تحرياتك إلى شىء محدد؟

- نعم.

- ماذا؟

- عرفت مثلاً أن ريموند كان يتحدث إلى اخته كارول فى تلك الليلة بالقدس.

- هل.. هل اخبرته؟

فنظر إليها طويلا ثم قال:

- هل يهمك الأمر يا مس كنج؟

- جداً.. ولكننى أريد أن أعرف.

- لقد اخبرته فعلاً، ولكنه قال إن حديثه كان نابعاً من توتره العصبى، وأنه نسى كل شىء فى الصباح.

- والآن هل يمكن أن تخبرينى يا مس كنج ماذا يخيفك فى هذا الأمر؟

وصمتت برهة ثم قالت:

- فى عصر ذلك اليوم.. كنت معه.. مع ريموند فى الجبل.. وقد صارح كل منا الآخر بحبه..

وقال لى إنه يجب أن يفعل شيئاً قبل أن تخونه شجاعته، وقد ظننت

أنه يعنى الرغبة فى مصارحتها بحبه لى.. ولكن لنفرض أنه كان يعنى.

ثم صمتت فجأة.

* * *

خرجت نادين من فندقها بمدينة عمان، وعندئذ التقت بالمستر كوب الذى كان واقفاً فى انتظارها.. وقد قال لها:

- هل نتمشى قليلاً يا نادين؟

ولما وصلا إلى الربوة المكسوة بالأزهار، قالت له فجأة:

- إننى آسفة يا مستر كوب.. أريد أن اصارحك بأمر خطير.

- طبعاً.. طبعاً يا عزيزتى.. قولى ما شئت دون أن تشقى على نفسك، وبعد تردد وجيز قالت:

- إنك إنسان طيب القلب يا جيفرسون، وصبور، وقد عاملتك معاملة سيئة.

فقاطعها قائلاً:

- ارجوك يا نادين.. لا داعى لأن تزعجى نفسك بشأنى.. أننى أعرف ماذا تريدين أن تقولى.. لقد تغيرت الأحوال الآن، وأشعر أن فى مقدورك أن تستأنفى حياة سعيدة مع لينوكس.. أليس كذلك؟

فنظرت إليه شاكرة ثم قالت:

- نعم يا جيفرسون.. أننى لن أستطيع التخلى عن لينوكس.. هل تغفر لى؟

- لا شيء يستحق أن اغفره لك.. ولكن يكفى أن نستمر صديقين حميمين كما كنا، وما عليك إلا أن تنسى حديثنا فى عصر ذلك اليوم.

فوضعت يدها على ذراعه فى رفق ثم قالت:

- شكراً لك يا عزيزى جيفرسون.. لسوف أذهب الآن لأتحدث مع لينوكس.



الشيء الذى يلمع

التقى بوارو أثناء عودته من الفندق بمس بيـرس التى اندفـعت تقـول بحماس:

– لم أكن أعـرف إلا فى هذا الصبـاح أنك المسيـو هيـركيـول بوارو المشهور لقد قرأت الكثير عنك يا سيدى.. ولشد ما تمنيت أن أقابلك لاخبـرك بما رأيت.. إن الإنسـان يجب ألا يغفل عن أى شىء ولو كان بسيطاً فى مثل هذه الظروف.. أقصد ظروف تحرياتك عن وفاة المسز بونتون المسكينة تصور أن ابنتهـا الصغرى تعتقد أنها أميـرة من بيت مالك؟ يا للعجب..

ـ آه ماذا كنت أقول..!

ـ نعم.. لابد أن المسـز بونتون قتلت، وإلا لما اهتـممت أنت بالأمـر، لاشك فى هذا.

فقاطعها بوارو قائلاً:

– حسناً حسناً يا مس بيرس.. ماذا تريدين أن تقولى لى؟

- إن ما رأيته ليس بالأمر الخطير.. ولكن من واجبى أن اخبرك به، لقد استيقظت فى الصباح التالى ليوم الوفاة مبكرة أكثر من المعتاد وانتهزت هذه الفرصة لاتمتع بشروق الشمس، وأنت تعرف أن الشروق فى هذه المناطق.

- نعم.. نعم.. وماذا رأيت؟

- فوجئت برؤية إحدى ابنتى آل بونتون تلقى بشىء إلى الجدول وليس فى هذا ما يثير الانتباه، ولكن هذا الشىء كان يلمع.

- اى الابنتين؟

- اعتقد أنها التى يدعونها كارول.. وربما كانت الصغرى.. لقد كان ظهرها إلىّ، والشمس فى عينى.. ولكن الصغرى شعرها ذهبى يميل إلى الأحمرار، بينما شعر كارول ذهبى يميل إلى الاصفرار.. ولهذا أرجح أنها كارول.

- رأيتها تلقى بشىء يلمع!

- نعم.. ولم اهتم بالأمر، ولكننى حين سرت على ضفة الجدول بعد ذلك، رأيت المس كانت هناك..

- ورأيت أيضاً بين المخلفات على الضفة صندوقاً معدنياً صغيراً أدركت أنه هو الذى القت به المس كارول إلى الجدول.. أنه صندوق معدنى من النوع الذى يحتفظ فيه بالمحقن الزجاجى، ورأيت أن أتناول الصندوق لأرى ما بداخله..

- وقد وجدت المحقن فيه سليماً غير مكسور.. وعجبت طبعاً.. ولكن

المس كنج تحدثت ورائى ولم أشعر بها وهى آتية.. وقالت إن هذا المحقن يخصها وأنها جاءت تبحث عنه، ثم أخذته وانصرفت.

واستطردت المس بيرس تقول:

– ولم اهتم كثيراً بالأمر وإن كنت قد تساءلت فى نفسى عن السبب الذى يجعل المس كارول تقذف بمحقن المس كنج إلى الجدول ليسقط على الضفة بين النفايات.. أن هذا التساؤل هو الذى جعلنى أخبرك بالأمر.

– شكراً جزيلاً يا مس بيرس.. لقد زودتنى بالحلقة الأخيرة التى استكمل بها سلسلة تحرياتى.. لقد أصبح كل شىء الآن واضحاً كل الوضوح.

فهتفت المس بيرس فى بهجة التلميذ السعيد:

– أحقاً؟

ـ ما أسعدنى بهذا.

وبعد أن صحبها إلى الفندق، وقف برهة يدون فى ورقة معه:

– إننى لا انسى.. تذكرى هذا.. أننى لا أنسى قط شيئاً.

ثم أردف قائلاً لنفسه:

– نعم.. نعم.. إن كل شىء أصبح واضحاً الآن.

أتم بوارو استعداداته لمواجهة جميع الذين تدور حولهم شبهات ارتكاب الجريمة.. وقد اتخذ من إحدى غرف الفندق ما أسماه مسرحاً

للفصل الأخير، وفى جانب من هذا المسرح جعل أفراد أسرة بونتون يجلسون معاً:

- ريموند وكارول، ولينوكس ونادين، وجنيفرا وفى الجانب الآخر جعل سارة والدكتور جيرار والمستر كوب يجلسون معاً، وأمامهم جميعاً جلس الكولونيل كاربرى، أما هو، فقد وقف وقال لهم بعد أن تكامل جمعهم:

- أيها السادة والسيدات، ان اجتماعنا هذا ليست له أية صفة رسمية، وكل ما فى الأمر أن الكولونيل كاربرى شرفنى وطلب منى العمل على معرفة الحقيقة عن وفاة المسز بونتون.

وهنا قال لينوكس فى حدة:

- ولماذا كل هذه الضجة والوفاة طبيعية؟

فقال الكولونيل كاربرى:

- كان كل شىء يدل على أن الوفاة طبيعية فعلاً.. الرحلة الشاقة، واجهاد المسز بونتون، ومرضها بالقلب، وكبر سنها، ولكن الدكتور جيرار تطوع ببلاغ فى صبيحة اليوم التالى عن وفاة المسز بونتون قال فيه:

- إن كمية من عقار شديد المفعول أخذت من حقيبة أدويته، وأن محقناً أخذ فى يوم الوفاة من حقيبته ثم أعيد إلى مكانه فى أثناء الليل أو فى الصباح كما لوحظ على معصم السيدة المتوفاة علامة ناشئة من وخز أبرة محقن طبى.

وخيم على الجميع صمت عميق بحيث لو سقط فى الغرفة دبوس لكان له رنين مسموع.

والتقط بوارو حبل الحديث وقال:

- وأخبرني الكولونيل كاربري بشكوكه، ولكنني صارحته بأني قد أعجز عن اقامة الدليل الكافي لادانة الجاني أمام المحكمة، إلا أن هذا لا يمنع من اظهار الحقيقة كاملة عن هذه الوفاة - وذلك ببساطة - عن طريق توجيه الأسئلة إلى الأشخاص الذين كانوا مع المسز بونتون.. وأحب أن أذكر لكم أيها الأصدقاء، أن أفضل وسيلة لكشف غوامض جريمة ما، هي ما جعل المتهمين أو المرتاب في أمرهم يتحدثون.. وفي النهاية لابد أن يكشف أحدهم أمر نفسه.

وبعد برهة صمت قال مستطردا:

- لقد فكرت أولاً في احتمالات وفاة المسز بونتون وفاة طبيعية، وفي النهاية قررت أن الوفاة لم تكن طبيعية بأي حال. أن ضياع المحقن ثم موقف أفراد الأسرة من السيدة المتوفاة أكد لي أن هناك جريمة قد ارتكبت، لا عن عمد وإصرار فحسب، وانما كل فرد من أسرة المجني عليها كان يعرف أنها ماتت مقتولة، وأن الجميع تصرفوا معاً على هذا الأساس.

واستأنف بوارو حديثه وهو ينظر إلى الجميع:

- إن هناك حافزاً قوياً لارتكاب الجريمة، وهو المال، إن كل فرد من أسرة المسز بونتون سيستفيد من موتها ويرث ثروة طائلة، هذا عدا تحرر أفراد الأسرة كلهم من طغيانها واستبدادها بهم، وقد خطر ببالي أولاً أن جميع أفراد الأسرة مشتركون في ارتكاب هذه الجريمة، لأن أقوالهم كانت متناقضة وتدل على أنهم يخفون شيئاً ما، ولكنني رأيت

أن أنظر أولاً فى احتمال أن يكون احدهم فقط هو الذى ارتكبها، وأن الباقين تستروا عليه، وكان بديهيا أن تتجه شكوكى مباشرة إلى الشخص الذى سمعته بأذنى ذات ليلة فى القدس يدبر أمر قتلها.

وبعد أن ذكر بوارو ما سمعه فى تلك الليلة بالقدس، استطرد يقول:

- هذا الشخص هو ريموند بونتون.

وفتح ريموند شفتيه ليقول شيئاً، ولكنه آثر التزام الصمت، أما بوارو فقال وهو ينظر فى ورقة بيده:

- وقبل أن استطرد فى سرد أدلتى ضد ريموند، أحب أن اقرأ عليكم هذه النقاط العشر التى لها دلالاتها، والتى اطلعت عليها الكولونيل كاربرى هذا اليوم.

هذه النقاط هى:

١- كانت المسز بونتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا.

٢- فقد الدكتور جيرار محقناً.

٣- كانت المسز بونتون تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال أو التعارف بالغير.

٤- شجعت المسز بونتون - فى عصر ذلك اليوم المذكور - أفراد أسرتها على الخروج للنزهة فى الجبل بدونها.

٥- كانت المسز بونتون سادية التفكير.

٦- المسافة بين حديقة الاستراحة والمكان الذى كانت المسز بونتون

جالسة فيه تبلغ مائتى ياردة «تقريباً».

٧- قال المستر لينوكس فى أول الأمر أنه لم يعرف متى عاد إلى المعسكر، ثم اعترف بأنه ضبط ساعة يد المسز بونتون على الوقت المحدد.

٨- كانت خيمة جنيفرا بونتون بجوار خيمة الدكتور جيرار مباشرة.

٩- فى الساعة السادسة والنصف، بعد أن تم إعداد طعام العشاء، أرسل أحد العمال لاستدعاء المسز بونتون.

١٠- قالت المسز بونتون - فى القدس - هذه العبارة «إننى لا أنسى أبداً.. تذكرى هذا.. أننى لا أنسى شيئاً أبداً».

ورغم أننى وضعت هذه النقاط مفردة، إلا أننى أستطيع فى بعض الأحيان أن أتناول كل نقطتين معاً، مثلا النقطتان الأوليان:

ـ «كانت المسز بونتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا»، «فقد الدكتور جيرار محقنا» لقد أثارت هاتان النقطتان شكوكى منذ اللحظة الأولى، وسوف أعود إلى الحديث عنهما فيما بعد، ولكنى سأفرغ الآن من دراسة الاحتمالات التى تجعل من ريموند المتهم الأول، وهذه هى الحقائق التى يمكن أن نضعها ضده:

ـ لقد سمعته يتحدث مع أخته كارول عن خطة لقتل زوجة أبيه، وكان فى حالة توتر عصبى شديد، كما كان قد مر فى ذلك اليوم بلحظة من اللحظات العاطفية القوية.

وهنا توقف بوارو عن الحديث وانحنى للمس سارة كنج وقال لها:

- معذرة يا مس كنج.

ثم استأنف حديثه قائلاً:

- أعنى أن ريموند فى ذلك اليوم كان قد وقع فى شرك الحب، وكان من الممكن أن تدفعه نشوة هذه العاطفة الجديدة إلى اتخاذ أكثر من موقف واحد: كان من الممكن أن تهدأ مشاعره وترق نحو العالم كله بما فيه زوجة أبيه، أو أن يستمد من هذا الحب الشجاعة لتحدى زوجة أبيه والتحرر من سيطرتها وسلطانها، أو أن يجد فى هذا الحب حافزاً اضافياً يدفعه إلى ارتكاب الجريمة.. هذه كلها جوانب نفسية.. أما الحقائق فهى:

١- غادر ريموند بونتون المعسكر مع الآخرين فى الساعة الثالثة والربع تقريباً.

٢- وكانت المسز بونتون على قيد الحياة وفى حالة طيبة.

٣- تحدث مع سارة كنج أثناء النزهة حديثاً عاطفياً خاصاً ثم انصرف عنها.

٤- عاد إلى المعسكر بناء على أقواله فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق.

٥- مضى إلى زوجة أبيه وتحدث معها قليلاً ثم هبط إلى حديقة الاستراحة.

٦- يقول إن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق.

ولكننا نعرف الآن حقيقة أخرى تناقض تلك الحقيقة الأخيرة، ذلك أن المس كنج وهى طبيبة مؤهلة، على استعداد لأن تقسم أن المسز بونتون كانت ميتة قبل السادسة والنصف بأكثر من ساعة ونصف على الأقل، وعلى هذا نجد أمامنا قولين متناقضين.. فإذا افترضنا أن المس كنج لم تخطىء.

وهنا قاطعته سارة قائلة:

- إننى لم أخطىء ولو أنى اخطأت فى تقديرى لاعترفت بخطأى.

فانحنى بوارو أمامها اعجاباً وقال:

- إذن هناك احتمالان لا ثلاث لهما، أما أن تكون المس كنج كاذبة فى تقريرها أو أن يكون ريموند كاذباً فى أقواله، ولنتناول الآن الأسباب التى تدفع ريموند إلى الكذب على افتراض أن المس كنج لم تخطىء ولم تكذب.. لقد عاد ريموند إلى المعسكر وذهب إلى زوجة أبيه فوجدها ميتة.. فماذا فعل؟ هل استغاث؟ هل ذهب فوراً وأخبر الجميع بموتها؟.. لا.. لقد وقف بجانبها متظاهراً بالحديث معها لحظة أو لحظتين، ثم مر بخيمته وهبط إلى حديقة الاستراحة دون أن يقول شيئا.. أليس كذلك؟

فقال ريموند بحدة:

- ان هذا أمر مضحك. لاشك أن المس كنج كانت مخطئة فى تقريرها بسبب الظروف القاسية التى كنا نمر بها.

فاستطرد بوارو يقول متجاهلا هذا الاعتراض:

- إن الانسان ليتساءل:

- هل هناك سبب يبرر هذا التصرف: إن الظاهر، كما يبدو، أن ريموند لا يمكن أن يكون جانيا مادامت أمه كانت ميتة فعلا عندما ذهب اليها لأول مرة بعد ظهر ذلك اليوم؟

- ما معنى قوله إن أمه كانت على قيد الحياة حين ذهب إليها بينما كانت فى الواقع ميتة؟

وصمت بوارو برهة ثم استطرد يقول:

- إن التفسير الوحيد لهذا التصرف هو ظنه أن اخته كارول نفذت خطة القتل بدلاً منه.

فصاح ريموند مرتعداً:

- هذا كذب.

واستأنف بوارو حديثه قائلاً:

- ولننظر الآن فى الاحتمالات التى تجعل كارول موضع الاتهام.. فما هى الأدلة ضدها؟..

- أنها مثل اخيها ريموند كانت تعانى من قسوة زوجة أبيها، وكانت مثله قد بلغت أقصى حالات التمرد، ولهذا اشتركت معه فى تدبير خطة للقضاء عليها باعتبار أن قتل مثل هذه المرأة الشريرة عمل بطولى، لقد عادت كارول بونتون إلى المعسكر فى الخامسة وعشر دقائق وذهبت للحديث مع أمها، هذا ما تقوله هى، ولكن أحداً فى المعسكر لم يرها، كان العمال نائمين، وكانت الليدى وستولم والمس

بيرس والمستر كوب يشاهدون منطقة أثرية بعيدة، ومعنى هذا أن الفرصة كانت متوافرة جداً لكى تنفذ كارول غرضها.

وهنا رفعت كارول رأسها ونظرت فى ثبات وحزن إلى بوارو الذى استطرد يقول:

– وفى الصباح التالى شوهدت كارول وهى تقذف بعلبة محقن فى الجدول.

وعندئذ قال الدكتور جيرار فى دهشة:

– كيف يمكن هذا وقد عثرت على محقنى بالخيمة فى ذلك الصباح؟

– نعم.. نعم..

ـ ولكننى فهمت من أقوال الشاهدة التى رأت كارول تقذف بالمحقن أنه ملك المس كنج، أليس كذلك يا مس كنج؟!

وقبل أن ترد سارة، أسرعت كارول قائلة:

– إن المحقن لم يكن ملك المس كنج، وانما ملكى أنا.

– إذن فأنت تعترفين أنك قذفت به إلى الجدول؟

– نعم.. طبعاً.. ولماذا أنكر؟ ولكننى لم.. لم ألمس العقار السام.

وعندئذ قالت سارة كنج:

– إن المحقن ملكى أنا يا مسيو بوارو.. وهذا ما قلته لمس بيرس فى ذلك الصباح.

فقال بوارو:

- هذه الأقوال المتعارضة تملأ النفس بالحيرة والتساؤل ولكن من الممكن تفسير هذا التعارض، أننى الآن - بدافع الانصاف - سأفترض أن كارول بريئة، فما هى الأدلة على براءتها؟

- لقد عادت من نزهتها الجبلية إلى المعسكر، وذهبت للحديث مع زوجة أبيها، فوجدتها ميتة، فخطر ببالها فوراً أن ريموند نفذ خطة القتل، ولم تدر ماذا تفعل، ولهذا آثرت التزام الصمت، ولما عاد ريموند بعد ساعة وتظاهر بالحديث مع زوجة أبيه، تأكدت أنه مرتكب الجريمة، ومن ثم دخلت خيمته وعثرت على المحقن، وازدادت تأكداً، ولكنها أخذت المحقن وأخفته، وحاولت التخلص منه فى الصباح التالى.

وصمت بوارو لحظة ثم قال:

- إن هناك دليلاً قوياً جعلنى أؤمن ببراءة كارول فعندما طلبت منها أن تقسم على براءتها، بادرت بالقسم المؤكد دون أن تتردد لحظة واحدة.

ووثب ريموند فجأة وقال فى تحد:

- لا داعى لكل هذا الحديث الطويل يا مسيو بوارو، أننى اعترف الآن أنك على حق، لقد كانت زوجة أبى ميتة فعلاً حين ذهبت إليها فى السادسة إلا عشر دقائق، وقد صدمت عندئذ، لأنى كنت أنوى أن أصارحها بأنى قررت الافتراق عنها والزواج من المس كنج.

- ولكن عندما وجدت أنها ميتة خطر لى فوراً، كما قلت إن كارول

نفذت الخطة ولذلك التزمت الصمت لاسيما حين رأيت علامة وخز المحقن على معصمها:

فقال بوارو:

- وما هى تلك الخطة التى وضعتها للتخلص من زوجة أبيك؟ يجب أن تصارحنى بها إذا أردت منى أن أصدقك.

فأسرع ريموند يقول:

- كانت وسيلة قرأت عنها فى رواية بوليسية انجليزية، وتتلخص فى أن حقن أى إنسان فى الوريد بالهواء، أى بمحقن فارغ إلا من الهواء، يؤدى إلى وفاته.. وقد ظننت أن هذه أحسن وسيلة عملية أنفذ بها خطتى.

فأومأ بوارو برأسه وقال:

- آه.. فهمت.. ولذلك اشتريت محقناً لهذا الغرض؟

- لا.. لقد سرقت محقن نادين.

فرمقة بوارو بنظرة سريعة وقال:

- المحقن الذى كان فى حقائب سفرها بالقدس؟

- نعم.

والتفت بوارو إليهم جميعاً وقال:

- الآن يمكن القول إننا كشفنا غموض ذلك المحقن الذى شوهدت كارول تقذف به إلى الجدول، لقد أخذه ريموند من أمتعة نادين فى

القدس.. وأخذته كارول من خيمته حين ظنت أنه نفذ خطته، وعثرت عليه المس بيرس على ضفة الجدول بين المخلفات، وأخذته منها المس كنج قائلة إنه ملكها، واعتقد أنه الآن مع المس كنج.

فقال سارة:

- نعم.

- معنى هذا أنك كذبت علينا حين قلت إنه ملكك!

- إنها كذبة مختلفة، كذبة لا علاقة لها بشرف المهنة.

- آه.. أننى أعرب لك عن إعجابى الشديد يا مس كنج.

- شكراً.

وصمت بوارو برهة، ثم عاد يقول:

- والآن لنعد إلى الاحتمالات التى تدين كل واحد من أفراد الأسرة وإلى الاحتمالات الأخرى التى تبرئه.

ثم أخذ يتلاعب بالجميع كما يفعل القط بمجموعة صغيرة من الجرذان المذعورة.. فهو يسوق الأدلة على اتهام لينوكس، ثم نادين، ثم جنيفرا.. ثم يعود ويفند هذه الأدلة كلها مؤكداً أنه شديد الإيمان ببراءتهم جميعاً، وأنه لم يقبل القيام بهذه المهمة إلا ليثبت للكولونيل كاربرى براءة أفراد أسرة بونتون من دم زوجة أبيهم.

وراح الجميع يتبادلون النظرات، بينما هتف الكولونيل كاربرى قائلاً فى تجهم وحيرة:

- هل فى الأمر جريمة أم لا؟

- طبعاً .. طبعاً يا عزيزى.

- حسناً .. إذا لم يكن أحد هؤلاء هو المذنب، فلابد أن أكون أنا.

- ولا أنت يا عزيزى.. وانما هو شخص آخر.. شخص آخر تأكدت منه حين سمعت قول المسز بونتون للمس كنج فى بهو الفندق بالقدس:

«إننى لا أنسى شيئاً أبداً.. تذكرى هذا.. لا أنسى قط تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً».



الحقيقـة

قــال بوارو وهـو يتــأمل الوجــوه المرفوعة إليه فى دهشة:

– ما هى الحقيقة إذن؟ أنه سؤال لابد من الإجابة عليه لقد أخذ من حقيبة أدوية الدكتور جيرار جزء من عقار الدجيتوكسين السام، وأخذ منه أيضاً محقن ثم أعيد فى الليل أو فى الصباح الباكر، وهناك علامة وخز أبرة المحقن على معصم يد المتوفاة.. ومن المؤكد أننا سنعرف بعد التشريح ما إذا كانت المسز بونتون ماتت متأثرة بسم عقار الديجيتوكسين أم لا؟.. ولكن نتيجة التحليل والتشريح قد تأتى بعد فوات الأوان ولهذا يجب أن نعرف الحقيقة الليلة، بل الآن، وقبل أن يفر القاتل من أيدينا.

فرفعت نادين رأسها وقالت بحدة:

– هل تعنى أنك مازلت تعتقد أن.. أن أحدنا.

– إننى اعتقد أن القاتل هنا.. فى هذا الفندق.. وسوف اذكر لكم اسمه بعد قليل، بعد أن اقنعكم بادانته بناء على تحليلنا للنقاط العشر أو جزء منها على الأقل.. ولنأخذ النقطتين الأولتين: «كانت المسز بونتون تتناول دواء من مستحضرات عقار الديجيتالا» و«فقد الدكتور

جيرار محقنه».. أن هاتين الحقيقتين تؤكدان ظاهرياً ادانة أحد أفراد أسرة بونتون، ولكنهما مع التفكير المنطقى تؤكدان العكس، أن سرقة كمية من العقار السام بارعة فى حد ذاتها.. لأن المسز بونتون كانت تتناول مستحضراً خفيفاً من هذا العقار، فلو أننى كنت أحد أفراد أسرة بونتون، فماذا أفعل؟ أن أبسط شىء، وأبعد شىء عن الشبهة هو أن اضع العقار المركز فى زجاجة دواء المسز بونتون وعندما تتناول الكمية المعتادة، تموت فوراً بالسكتة القلبية.. وبهذا احقق هدفى دون أن يفطن أحد، وحتى إذا فطن أحد بأن الزجاجة بها عقار مركز، فسوف يسهل على الجانى الزعم بأن الخطأ يرجع إلى الصيدلى الذى أعد الدواء، أى أنه ليس هناك ما يدعو اطلاقاً إلى سرقة محقن، أو المغامرة بحقن المسز بونتون فى مكان مكشوف، إذن فلماذا سرق المحقن من خيمة الدكتور جيرار؟ هناك تفسيران لهذا السؤال: أما أن يكون الدكتور جيرار لم يبحث جيداً عن المحقن بسبب حالة الحمى التى كان يعانى منها، أى أن المحقن كان موجوداً فى الخيمة طيلة الوقت ولم يسرق، أو أن القاتل سرق المحقن لأنه لم يستطع الوصول إلى زجاجة دواء المسز بونتون ليضع فيها العقار السام، وذلك لأنه لم يكن واحداً من افراد الأسرة، وهذا يعنى أن القاتل شخص خارج نطاق أسرة بونتون - أى شخص ليس له حق فى دخول كهف المسز بونتون دون أن يلفت إليه الأنظار.

وصمت بوارو قليلاً قبل أن يستطرد قائلاً:

- فمن يكون هذا الشخص الدخيل؟ أنه ليس المستر كوب لأن جميع الأدلة تثبت أنه ليس له أية مصلحة فى قتل المسز بونتون وليست المس كنج أيضاً لأنه لا يعقل - أطلاقاً - أن تعمد آنسة مثقفه وطبيبه إلى

ارتكاب جريمة قتل لكى تفسح الطريق أمامها للزواج من ريموند، وليس الدكتور جيرار بطبيعة الحال، لأن كان محموماً، وحتى إذا لم يكن محموماً، فما هى مصلحته الهامة فى قتل المسز بونتون؟ هذا الا إذا كانت لدى كل منهم حوافز قوية لارتكاب هذه الجريمة، لا ندرى عنها شيئاً.

فابتسم جيرار وقال:

- مثل ماذا؟

- أنت مثلاً.. ربما قررت أن تتولى علاج جنيفرا وانقاذها من المصير الرهيب الذى كانت تنحدر إليه بسرعة.. ولكنك رأيت أن العلاج لن يجدى إلا إذا أزلت من الوجود السبب فى المرض.. أى أنك - مثلاً - قررت التضحية بأم عجوز شريرة لانقاذ ابنة شابة جميلة طاهرة كالملاك.

فابتسم جيرار وقال:

- يا لخيالك الواسع العجيب يا مسيو بوارو.

واستطرد بوارو قائلاً دون أن يحفل به:

- ولكن إذا كان الدكتور جيرار هو القاتل، فلماذا لفت الأنظار إلى احتمال وقوع جريمة حين قرر أن المحقن سرق منه، وكذلك كمية من العقار السام؟ إن هذا الموقف يا أصدقائى لا يتفق مع أبسط قواعد المنطق.

فقال الكولونيل كاربرى:

- وماذا بعد يا مسيو بوارو!! أليس لهذا الحديث من نهاية؟

فأومأ بوارو قائلاً:

- لقد أوشكت على الوصول إلى النهاية.. ولنأخذ الآن النقطتين الثالثة والرابعة.. «المسز بونتون تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال بالغير».. و«المسز بونتون - فى عصر ذلك اليوم المذكور - شجعت أفراد أسرتها على الخروج للنزهة بدونها».. إن هاتين الحقيقتين تتعارضان معاً كل التعارض.. فلماذا قررت المسز بونتون فى عصر ذلك اليوم أن تغير سياستها مع أفراد الأسرة فجأة؟! لابد أن هناك سبباً.. فما هو؟!

ونظر بوارو إلى الجميع متسائلاً.. فلما رآهم يحملقون فى وجهه صامتين استطرد يقول:

- هلم نتعمق فى نفسية المسز بونتون كما وصفها بحق الدكتور جيرار.. لقد سئمت السيطرة على أفراد أسرتها بين جدران قصرها فى أمريكا، وقررت أن تغزو آفاقاً جديدة لاشباع حب السيطرة فى نفسها، فقامت بهذه الرحلة إلى الخارج وهى مؤمنة بأن هذه الرحلة سوف تزيد من نطاق سيطرتها عليهم، وتتيح لنفسها مزيداً من فرص ممارسة طغيانها والتحكم فى تصرفاتهم.. ولكن النتيجة كانت عكسية تماماً.. لأنها ما كادت تخرج إلى العالم الواسع حتى ادركت تفاهتها وضآلة شأنها واحتمال عجزها عن القبض على زمام الأمور بين أفراد أسرتها.. وهذا يؤدى بنا إلى النقطة العاشرة.. فعندما ذهبت سارة كنج إليها فى بهو الفندق واخبرتها برأيها فيها بكل صراحة، تحدثت المسز بونتون بعبارة غامضة - دون أن تنظر إلى المس كنج - وانما كان تنظر إلى شخص آخر قريب فى المكان - قالت بالحرف الواحد: «إننى لا أنسى أبداً شيئاً.. تذكرى هذا.. لا أنسى تصرفاً.. ولا اسما.. ولا وجها».

وصمت بوارو برهة ثم قال للجميع:

– هل يمكن لأحدكم أن يفهم دلالة هذه العبارة، أنها طبعاً لم تكن رداً على حديث المس كنج، بل إنها لم تكن تنظر إلى المس كنج وهى تقول تلك العبارات.. وهذا يعنى أنها كانت موجهة إلى شخص آخر وراء المس كنج.

ومرة أخرى امسك بوارو عن الحديث قبل أن يستطرد قائلاً:

– لقد وقعت أنظار مسز بونتون على ذلك الشخص فى أقسى لحظات حياتها، فى اللحظة التى انعقد فيها لسانها من فرط الغضب حين بينت لها المس كنج مدى تفاهتها وضآلة شأنها.. فى تلك اللحظة رأت شخصاً آخر يمكن أن يكون ضحية جديدة تمارس فيه نزعتها الشديدة إلى السيطرة والطغيان.. وهذا ما يفسر موقفها الغامض من أسرتها فى عصر ذلك اليوم، أعنى حين طلبت منهم أن يذهبوا جميعاً للنزهة بدونها.. أتعرفون لماذا؟ لكى تتاح لها الفرصة للانفراد بالضحية الجديدة التى وقعت بين يديها، للانفراد بها والتمتع بتعذيبها، ومن هذه النقطة الجديدة يجب أن نتناول أحداث عصر ذلك اليوم، لقد ذهب أفراد الأسرة للنزهة، وبقيت المسز بونتون جالسة أمام كهفها، والآن لنتناول أقوال السيدتين: الليدى وستولم والمس بيرس، وإن كانت أقوال المس بيرس لا قيمة لها لأنها ضعيفة الشخصية ومن السهل الايحاء لها بما يراد منها أن تقول، أما الليدى وستولم فهى واضحة فى أقوالها وقوية الملاحظة جداً، والسيدتان متفقتان فى انهما رأيتا أحد العمال العرب يقترب من المسز بونتون ويثير غضبها بطريقة ما، ثم يتراجع بسرعة حيث ثارت عليه ولوحت بعصاها وراءه، وقد قالت الليدى وستولم أن العامل دخل أولاً خيمة جنيفرا بونتون.. ولكنكم

تذكرون آن خيمة الدكتور جيرار، كانت تجاور مباشرة خيمة جنيفرا ومن المحتمل أن يكون العامل العربى قد دخل خيمة الدكتور جيرار.

فقاطعه الكولونيل كاربرى عندئذ بقوله:

– هل تريد أن تقول لنا إن أحد العمال العرب هو الذى ارتكب هذه الجريمة؟.. يا للعجب!!

فابتسم بوارو وقال:

– مهلا يا صديقى، أننى لم أفرغ بعد من حديثى لنتفق أن العامل العربى خرج من خيمة الدكتور جيرار، فماذا بعد، أن السيدتين تتفقان فى وصفه، كان مرتدياً عقالاً كالعرب، وسترة وبنطلونا من بنطلونات الركوب هذا هو وصف المس بيرس له.. أما الليدى وستولم فقد تمادت فى وصفه قائلة: إنه كان مرتدياً بنطلوناً ممزقاً وحزام ساق غير محكم على ساقيه.. ولكنهما لم تستطيعاً أن تتبينا وجهه أو تسمعا الحديث الذى دار بينه وبين المسز بونتون لأن المسافة بينهما وبينه كانت نحو مائتى ياردة.

وصمت بوارو لحظة قبل أن يردف قائلاً:

– فإذا كان من العسير على الليدى وستولم أن تتبين وجهه، فكيف امكنها أن تلاحظ بدقة عدم احكام الحزام «القلشين» على ساقيه؟ أليس هذا عجيباً ومثيراً للتساؤل؟! لأنها ما دامت لم تستطع أن ترى وجهه بوضوح ولا أن تسمع صوته بسبب طول المسافة، فإنها على هذا لا تستطيع أن ترى الحالة التى كان عليها القلشين من مسافة مائتى ياردة.

لقد كانت غلطة كما ترون.. وقد أثارت هذه الملاحظة تفكيرى، لماذا

أصرت الليدى وستولم على وصف قلشين ذلك العامل العربى بهذه الدقة؟ أتراها فعلت هذا لأن العامل لم يكن مرتدياً قلشيناً على الاطلاق؟ لقد رأته كل من الليدى وستولم والمس بيرس..

ولكن كلا منهما كانت جالسة أمام خيمتها والنظر إلى هذه الخارطة نرى أن سور حديقة الاستراحة يمنع كلاً منهما من رؤية الأخرى وهما جالستان أمام خيمتيهما.. وقد أكدت الليدى وستولم هذه الحقيقة بقولها إنها ذهبت لترى المس بيرس فوجدتها جالسة أمام خيمتها تقرأ.. أى أنها لو كانت تراها من أمام خيمتها - خيمة الليدى وستولم - لما كان هناك سبب لذهابها لكى تراها.

وانتصب الكولونيل كاربرى فى جلسته وقال:

- يا الهى.. أتريد أن تقول إن الليدى.

فقاطعه بوارو قائلاً:

- أريد أن أقول إن الليدى وستولم حين تأكدت أن المس بيرس جالسة مستغرقة فى القراءة - وكانت هى الوحيدة المستيقظة أو الموجودة فى المعسكر تلك الساعة - عادت إلى خيمتها وارتدت سراويل الركوب، وسترة خاكية اللون، وصنعت لرأسها عقالاً، وما أبسط هذا بطبيعة الحال، واندفعت إلى خيمة الدكتور جيرار وأخذت المحقن وفحصت حقيبة الأدوية واختارت العقار المناسب لتحقيق هدفها، وملأت المحقن منه، ومضت بكل جرأة إلى خيمتها.

واستطرد بوارو قائلاً بعد أن صمت لحظة:

- ومن المحتمل أن المسز بونتون كانت غافية فى تلك اللحظة، ولكن

المؤكد أن الليدى وستولم كانت سريعة وحاسمة، إذ أمسكت بمعصمها وحقنتها بالعقار السام.. وصاحت المسز بونتون وحاولت النهوض، ولكنها تهالكت فى مكانها.. وأسرع «العامل العربى» - كما بدا للمس بيرس عندئذ - بالهروب والمسز بونتون تلوح وراءه بعصاها فى غضب.. وبعد خمس دقائق تكون الليدى وستولم قد تخلصت من ملابس التنكر وعادت إلى المس بيرس لتعلق على ذلك المنظر وهى واثقة أن تعليقها سوف يترك أثره فى نفسية المس بيرس الضعيفة التى تتأثر بسرعة من ايحاءات الغير، وبعد ذلك ذهبتا للنزهة وقد تعمدت الليدى وستولم أن تقف تحت الجرف الذى تجلس فوقه المسز بونتون لتهتف لها بعبارة.. ولم تتلق أى رد بطبيعة الحال.. ولكنها تظاهرت بأن المسز بونتون ردت بغمغمة تنم عن قلة الذوق.. وعلقت على هذا أمام المس بيرس المستعدة على أن تقسم بأنها سمعت غمغمة من المسز بونتون.. هكذا يبلغ ضعف نفسية المس بيرس.. لقد جربت بنفسى هذا معها حين أوحيت إليها أننى عطست أمامها، وأكدت لى أنها سمعتنى أعطس فعلاً!! المهم أن الليدى وستولم بحكم عملها فى الميدان السياسى كانت تعرف حقيقة نفسية المسز بيرس ومدى استعدادها لتقبل أى شىء يوحى إليها به.. ولكن المشكلة التى واجهت الليدى وستولم بعد ذلك هى التخلص من المحقن.. لقد عاد الدكتور جيرار إلى خيمته بأسرع مما كانت تظن بسبب اصابته المفاجئة بالحمى، وقد خامرها الأمل فى أن لا يلحظ ضياع المحقن حتى تتمكن من اعادته إلى خيمته أثناء الليل أو فى الصباح الباكر.

وتوقف بوارو عن الحديث.. وقالت سارة:

- ولكن لماذا..؟ لماذا أرادت الليدى وستولم قتل المسز بونتون؟

– ألم تقولى أن الليدى وستولم كانت جالسة بالقرب منك حين ذهبت وتحدثت إلى المسز بونتون فى بهو الفندق بالقدس؟ ان عبارة المسز بونتون الغامضة لم تكن موجهة إليك، وانما إلى الليدى وستولم «إننى لا أنسى شيئاً أبداً.. تذكرى هذا.. لا أنسى قط تصرفاً، ولا اسماً، ولا وجهاً».. فإذا عرفنا أن المسز بونتون كانت سجانة قبل زواجها، فيمكنكم أن تستنتجوا الحقيقة.. لقد تعرف اللورد وستولم بزوجته هذه أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى أمريكا.. وكانت الليدى وستولم قبل زواجها، مجرمة فى أمريكا أمضت بضع سنوات من عمرها فى أحد السجون.

وصمت بوارو لحظة قبل أن يستأنف حديثه قائلاً:

– ويمكنم أن تتصوروا الفزع الرهيب الذى ملأ قلب الليدى وستولم حين وجدت نفسها فجأة أمام سجانتها السابقة! إن كل آمالها وكل شىء عظيم فى حياتها أصبح مهدداً فى يوم وليلة، أننا لا نعرف الآن السبب الذى من أجله سجنت فى أمريكا – وإن كنا سنعرف هذا بعد يوم أو يومين – ولكن أياً كان السبب، فلابد أنه كفيل بنسف كل ما بنته من مجد سياسى ومكانة اجتماعية رفيعة إذا شاع أمره بين الناس.. وتذكروا هذا.. أن المسز بونتون لم تكن من النوع الذى يهدد من أجل ابتزاز المال.. أنها لم تكن بحاجة إلى المال.. ولو أنها كانت كذلك، لاستطاعت الليدى وستولم شراء سكوتها.. ولكن المسز بونتون كانت من النوع الذى يستمد سعادته من تعذيب ضحاياه وتعريضهم لأقسى أنواع البؤس والشقاء.. ومن ثم ايقنت الليدى وستولم أنها لن تكون فى أمان قط طالما بقيت المسز بونتون على قيد الحياة.. وهكذا اطاعت أمر المسز بونتون حين طلبت منها أن تلتقى بها فى مدينة بطرا «وقد

تعجبت قبل أن أعرف هذه الحقائق كيف تسافر سيدة ذات مكانة اجتماعية كبيرة مثل الليدى وستولم بمثل هذه البساطة» ولكنها كانت فى ذات الوقت تفكر فى طريقة للخلاص من المسز بونتون.. ولما سنحت الفرصة نفذت الجريمة بكل جرأة.. ولكنها ارتكبت خطأين: الأول وصفها الدقيق لقلشين العامل العربى الذى أثار شكوكى، والخطأ الثانى عندما اخطأت ودخلت خيمة جنيفرا فى أول الأمر وهى تحسبها خيمة الدكتور جيرار.. وهذا ما يفسر حديث جنيفرا عن «الشيخ العربى» الذى دخل خيمتها وأراد أن يختطفها كما توهمت.

وبعد برهة صمت أخيرة قال بوارو مستطردا:

– ولكننا سنعرف الحقيقة بالدليل المادى قريباً جداً.. لقد حصلت على بصمات الليدى وستولم دون علمها، وارسلتها إلى إدارة السجن الذى كانت تعمل فيه المسز بونتون سجانة، وسوف نعرف الحقيقة قريباً عند مضاهاة بصمات الليدى وستولم على البصمات الموجودة فى سجلات إدارة السجن.

وما كاد بوارو يفرغ من عبارته الأخيرة حتى سمع الجميع دوياً حاداً فى الغرفة المجاورة مباشرة فهتف الدكتور جيرار قائلاً:

– ما هذا؟

فقال الكولونيل كاربرى وهو ينهض بسرعة:

– إنه دوى طلق نارى.. من المقيم فى الغرفة المجاورة؟

فقال بوارو وهو يبتسم بخبث: الليدى وستولم.

الخاتمــة

وصــدرت صـحف اليـوم التـالى فى القدس ولندن تحمل هذا النبأ :

«يؤسفنا أن نذيع نبأ وفاة الليدى وستولم عضو البرلمان الانجليزى أثر حادث أليم.. لقد وجدت الليدى وستولم فى غرفتها بفندق الملك سليمان بالقدس مصابة بطلق نارى والمسدس فى يدها.. وقد اتضح أن المسدس انطلق أثناء تنظيفها أياه.

وكانت الوفاة فورية.. ونحن نتقدم بالعزاء إلى.. إلخ.. إلخ».

* * *

وفى مســاء يوم دافىء من شـهـر يونيـه بـعـد هذه الأحـداث بـخـمس سنوات.

كانت سارة وزوجها ريموند جالسين فى مقصورة خاصة بمسرح لندن يشاهدان مسرحية «هاملت» وامسكت سارة بذراع ريموند فى تأثر شديد حين صعدت إلى خشبة المسرح الممثلة الذائعة الصيت جنيفرا بونتون لتقوم بدور «أوفيليا».

وهمست سارة لزوجها :

- ما أروعها.. ما أعظم عبقريتها.. لقد صدق الدكتور جيرار حين قال إن جنيفرا ستكون من أعظم ممثلات عصرها.

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة، بعد انتهاء التمثيل، كانت جنيفرا جالسة فى مطعم سافوى تقول لرجل ملتح بجانبها - وهو مخرج المسرحية - وهى تضع على شفتيها تلك البسمة الخالدة:

- هل أديت دورى الليلة كما ينبغى يا تيودور؟

- كنت رائعة يا عزيزتى.

وعلى مائدة قريبة كان ممثل دور هاملت يقول باكتئاب لصديقته:

- إنها رائعة طبعاً.. وأن طريقتها فى تمثيل دور «أوفيليا» يعتبر شيئاً جديداً فى عالم المسرح.. ولكنها ضيعتنى بجانبها.

وقالت نادين الجالسة أمام جنيفرا على نفس المائدة:

- ما أروع وجودى هنا فى لندن وجلوسى مع جنيفرا الممثلة الذائعة الصيت.

والتفتت نادين إلى زوجها لينوكس وقالت:

- هل يمكن أن ندع طفلينا يشاهدان المسرحية فى الحفلة المسائية؟ إنهما فى السن التى يمكن أن يتعرفا فيها على عمتهما وهى على خشبة المسرح.

فرفع لينوكس كأسه وقال بصوت كله السعادة والمرح:

- إلى الزوجين الجديدين.. المستر كوب.. وكارول.

وضحكت كارول وقالت لزوجها جيفرسون كوب:

-جيف.. يحسن أن نشرب نخب غرامك الأول أيها الغادر؟

وقال ريموند ضاحكاً: إن صاحبنا جيف يشعر بالخجل.. ألا ترون احمرار وجهه؟ يبدو أنه لا يحب أن يذكره أحد بما مضى.

وفجأة اكتأب وجهه وبدا عليه كأنه يرى حلماً قديماً مزعجاً حين شاهد المسيو بوارو يتقدم نحو جنيفرا وينحنى على يدها مقبلاً قائلاً:

- تحياتى إلى أعظم فنانة فى هذه البلاد.

وحياة الجميع بحرارة وافسحوا له مكاناً بينهم.

وتلتفت بوارو حوله، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وانحنى على سارة وقال لها هامساً:

- يبدو أن كل شيء على ما يرام من أفراد أسرة بونتون.

- الفضل لله ولك يا مسيو بوارو.

- لقد أصبح زوجك رجلاً مشهوراً.. قرأت ما كتبه المعلقون والنقاد عن كتابه الأخير.

- أنه عبقرى بلا شك.. هل تعلم أن كارول وكوب استطاعا أن يكونا أسعد زوجين رغم ما كان من حب كوب لنادين أولاً، ولعلك لم تعلم أن نادين اطلقت لنفسها حرية الحمل، وأصبح لها الآن طفلان جميلان جداً.. أما جنيفرا.. فها هى كما تراها.. عبقرية وشهرة ونجاح.

